الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة منتوري – قسنطينة

كلية الآداب واللغات   قسم اللغة العربية وآدابها

صورة الجزائر عند فرانس فانون والبير كامو روايتي: "معذبو الأرض" و "الغريب" نموذجا

مذكرة معدة استكمالا لمتطلبات نيل شهادة الماستر

من إعداد الطالبتان: تحت إشراف الدكتورة

- ✓ مريم دبي   ليلى جباري
- ✓ عبلة مجدوب

شعبة الأدب العربي   تخصص: أدب مقارن وآداب أجنبية

ماي2011

مقدمة:

إذا كانت صورة بلد أم مجتمع في ذاكرة بلد آخر أو أعمال أدبية تطرح على الباحث مشاكل منهجية عديدة أقل ما يقال عنها هي أنها مرتبطة بهذا الفرع الخاص من الأدب المقارن، وهو علم الصورة الذي لا يوجد فيه منهج علمي مستقر، وإنما مجرد جماعات من الباحثين تعمل باستمرار على تحسين وساءلها في البحث، فالصورة هي صورة لمنظور مكون في إطار رؤية للعالم ممزوجة بإيديولوجية الكاتب وذاتيته في النهاية، فالإنسان لا يستطيع أن يعيش بمفرد عن الآخرين إذ من طبعه الأخذ والعطاء للمحافظة على النفس واستمرار الجنس. وأثناء عملية التفاعل هذه يكون الإنسان فكرة أو وجهة نظر عن الآخرين.

وللباحث أفكار وصور حول بعض الناس أم المجموعات أو الشعوب وكان الجزائري أحد الناس الذين كونت لهم صورة نتيجة للظروف التي عاشتها. ظروف الحرب التحريرية فصورة الجزائري عند الغرب لا تقل أهمية عن صورته عند العرب، فقد كتب عنه الكثير من أنصار اليمين الاستعماري أو اليساري وانقسموا بدلك إلى قسمين، تجاه يميني مع الاحتلال ويدعوا إلى الاستقلال، ونجد منهم:

فرانسيس جونسون، جان بول سارتر وفرانس فانون وآلبير كامو وغيرهم من الذين ساندوا القضية الجزائرية وأثبتوا مشاركتهم ومساندتهم الفعلية سواء نقلهم الجريء أو بالعمل والمشاركة إلى جانب الثوار.

فحقيقة أن هناك بعض المثقفين الفرنسيين الذين نددوا بهذه الأعمال الوحشية وساندوا نضال وكفاح الشعب الجزائري في الاستقلال والحرية، والبعض الأخر يكتف بعدم التأييد والسكوت والتحفظ بمبادئهم الفلسفية التي يؤمون بها، بل أعلون عن حقيقة تفكيرهم المتمثلة في العداوة والعنصرية ضد حرية الشعب الجزائري.

فهدفنا من هذه الدراسة هو أن نبين حقيقة المثقفين الذين يؤمنون بفلسفتهم وحريتهم السياسية، والذين التزموا بمبادئهم ودافعوا عنها، حيث نجد بعض المثقفين الذين شاركوا مشاركة فعلية في تحرير الجزائر والبض الآخر بالكتابة والمساندة المطلقة لشعب غير شعبهم.

فهذا "فرانس فانون" الذي يشارك بالكتابة عن الجزائر فأنتج كتب منها: (العام الخامس للثورة الجزائرية) وكذلك: (معذبو الأرض) الذي لقي صدى كبير سواء داخل البلاد أو خارجها بالإضافة إلى المشاركة الفعلية في الثورة كطبيب نفساني يعالج المرضى الجزائريين الذين علقت الثورة، وكذلك المفكر اليساري الثاني "البير كامو" الذي شارك هو الآخر بكتاباته: (الغريب)، و (الطاعون).

إن هذه الأحداث والجرائم قد أفرزت الكثير من الكتابات وعلى جميع الأصعدة السياسية، التاريخية والأدبية، بل إنها كانت المنعطف الحاسم في تغيير مسار الثورة الجزائرية.

وقد تركت هذه الحوادث والجرائم التي ارتكبها الاستعمار في حق الشعب الجزائري أثر كبير في نفوس الجزائريين وكذلك الغربيين ممن تعاطفوا مع القضية الجزائرية وفي وجدان الكتاب كذلك لان الأديب هو ضمير الأمة وقلبها النابض ولسان حالها، يعيش ويعبر عن أفراحها ومآسيها، ثم يعبر عنها بصدق وحرارة.

ومن الجرائم المرتكبة في حق الشعب الجزائري أسالت الكثير من الحبر وتأثر بها الكثير من الكتاب والأدباء الغربييون اللذين يملكون الضمير ويقفون مع الحق، ولم نعلم على وجه اليقين حجم ما كتب هؤلاء، لكن نعلم أن هناك كتاب كتبوا في هذا الموضوع، ولذلك أثرنا أن وقفة باحثين أمام الأدباء الغربيين وخاصة فرانس فانون وآلبير كامو.

وقد جمعنا ما اقتطعنا من محاصيل في هذين الأديبين وكيف تأثروا بالثورة وما هي ردود أفعالهم؟ زما هي أهم إنتاجاتهم؟ وما هي أهم مواقفهم من الثورة الجزائرية؟

كما حاولنا التطبيق على رواية معذبوا الأرض لفرانس فانون ورواية الغريب آلبير كامو.

أما المنهج المتبع لمعالجة الموضوع فهو المنهج التحليلي نظرا لطبيعة الموضوع الذي يستوجب التحليل لروايتي معذبوا الأرض فرانس فانون ورواية الغريب آلبير كامو.

وقد ارتأينا تقسيم الموضوع إلى مدخل وفصلين عدا المقدمة والخاتمة حيث ينقسم الفصل الأول إلى:

- موفق فرانس فانون من الثورة الجزائرية.
- موفق آلبير كامو من الثورة الجزائرية.

أما الفصل الثاني فهو فصل تطبيقي تطرقنا فيه إلى دراسة رواية معذبوا الأرض لفرانس فانون، وكذلك دراسة رواية الغريب آلبير كامو، وفي المدخل نلقي الضوء على صورة الشخصية الجزائرية عند فنون.

وكذلك نبذة تاريخية عن حياة فرانس فانون ونبذة تاريخية عن حياة آلبير كامو.

أما الخاتمة فستكون تلخيصا لنتائج البحث.

إذا كان من الواجب أن يذكر الباحثون الصعوبات التي واجهتهم أثناء عملية البحث، فإنه لا يكاد يخلو من بحثنا من المتاعب والمصاعب وإنما متعة البحث تكمن في تحدي الصعوبات وتجاوزها.

ولعلنا نذكر من الصعوبات التي واجهتنا في بداية البحث بعض العناء الذي لاقيناه في جمع المادة من المكتبات، وبفضل الله تجاوزنا هذه الصعوبات التي أعانتنا الأستاذة المشرفة على تجاوزها لما قدمته لنا من نصائح وتوجيهات فهي أحق بالاعتراف بالجميل، كما أشكر كل من ساعدنا في إنجاز هذا العمل المتواضع، مهما كان نوع المساعدة ولا ينوئني أن أشكر لجنة المناقشة على ما تحملته من مشقة قراءة البحث.

لقد ولدت فكرة الانشغال بالجزائر منذ العهد الاستعماري مجموعة من الادباء والمؤلفين منهم الجزائريين لتدوين القضية الفرنسية ومنهم الفرنسيين الذين وقفوا على اتجاهين، اتجاه يميني مع الاستعمار، واتجاه رافض للاستعمار، وقد نتج عن ذلك جملة من التساؤلات المحلة منها: كيف نستطيع تناول موضوع الجزائر في ارتباطه مع الاستعمار؟

وما هي سلبيات الاستعمار على المجتمع والثقافة والحضارة؟

وما هي مختلف المنابع الفكرية والإيديولوجية التي تزخر بها الجزائر؟

إن المجتمع الجزائري في العهد الاستعمار كان يحمل بداخله بذور المقاومة والصمود إلى آخر قطرة من دمه لكي يحقق الانتصار ويجلب الحرية للجزائري، فالحرية هي الغريزة التي تحدد شخصية الإنسان بوصفه كائنا اجتماعيا، وهي العامل الأساسي الذي يدفع بالإنسان إلى التحرر ورفض الاستعمار إذ ينطلق من نقطة معينة هي أن الاستعمار يعني الرضوخ إلى الذل والمهانة باتجاه نقطة أخرى الحرية هي الكرامة وعزة النفس.

ولقد ظهر الصراع في الجزائر بين الكتاب والأدباء الفرنسيين بين مؤيد للحرية ورافض لها، وقد أدت هذه الصراعات إلى بروز طبقة من المثقفين الذين ساندوا الثورة الجزائرية بكتاباتهم أمثال فرانز فانون وآلبير كامو وروسو وغيرهم حاولوا من خلالها نقل الصورة الجزائرية إلى الخارج.

وقد خصصنا في بحثنا المتواضع رواية معذبوا الأرض لفرانس فانون ورواية الغريب ل ألبير كامو نموذجا.

وقد اخترنا هاتين الروايتين باعتبارهما أفضل تمثيل يوضح صورة الجزائري عند الغربيين.

ماذا أراد كل من الكاتبين إيصاله لنا من خلال الروايتين؟

وكيف نظر كل منهما إلى الشخصية الجزائرية والكفاح المسلح؟

المدخل

المدخل:

الحديث عن العقلية الجزائرية يتجاوز بطبيعة الحال الحديث عن العقل المحض الذي هو تلك الفاعلية الإدراكية والتجريبية التي يتعامل بها الإنسان مع محيطه، لان إطار العقلية كما نتصور، يشمل العقل ويستوعب خصائص أخرى متصلة بالشخصية في عمومها.

ومن المعلوم أن العقل عند العامي، ليس هو عند المفكر، ولا هو عند الفقيه.

فالعقل عند الإنسان البسيط هو جماع الأخلاق، والتماسك السلوكي، أما العقل عند المفكر، فذلك حديث يطول، إذ معنى العقل هناك أدخل في مجال الدينامية العامة للفرد، لا بوصفه نموذجا معزولا عن محيطه، ولكن بصفته طاقة اجتماعية ومعرفية تتفاعل مع محيط وتحمل ميراثا تحتويه الذاكرة وتتجدد بخيال يتحرك في المطلق.[1]

وما يهمنا هنا أن نبحث في الشخصية الجزائرية عند المفكر فرانز فانون وكيف ينظر إلى ملامح هذه الشخصية المناضلة وقت الثورة من اجل تحديد معالمها؟

لا شك أن الشخصية تمثل بناء سواء لدى الشخص أو لدى مجموعة من الناس الذين يتكون منهم الشعب أو الأمة، وإذا صح هذا فقد تألف لدى الشعب الجزائري بناء جديد من الشخصية لمواجهة الاستعمار بصوره الغاشمة أثناء فترة الثورة، وبالتبعية تألف أيضا لدى الشخص الجزائري نفسه شخصية جديدة أو بمعنى أصح بناء جديد من الشخصية لمواجهة المواقف التي كان يجد نفسه مضطرا إلى اتخاذ سلوك معين إزاءها.[2]

إن عامل الدين كان بارزا لدى الشخصية الجزائرية وعامل القومية كان واضحا وعامل الشرف الأنثوي كان جليا بينا وعامل الإيمان بالآخرة وبالشهادة في سبيل الله كان ثابتا في كل خطوة يمر بها المسلم المقاتل، بل لقد كانت الثورة الجزائرية حربا إسلامية ضد مستعمر يريد أول ما يريد أن يقضي على الدين وعلى الشرف العربيين.

---

[1] عشراني سليمان: الشخصية الجزائرية الأرضية التاريخية والمحددات الحضارية، دون ط، بن عكنون الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 2007، ص 210.

[2] عبد الحميد حيفري: فرانتز فانون بعض ملامح الشخصية الجزائرية في كتاباته، دون ط، الجزائر العاصمة، دار الثقافة، 2007، ص 38

وإذا تتبعنا أعمال فانون فسنجد أنه يمضي في سياق موحد بلا تقطع ولكن عدد من التوقعات التي تناسب طبيعة استشفاف واستخلاص الماهيات والدلالات المعبرة عن حقيقة الشخصية الجزائرية، بل أن فانون كان يدرك بوضوح أن عمله هنا فيما يتعلق بوصف التجربة الجزائرية لا يؤدي إلى شيء واحد هو إبراز الشخصية الجزائرية، ويدرك هو نفسه هذه الحقيقة إدراكا لا شك فيه لأنه كان يعتقد كما يقول هو نفسه في كتاب "علم اجتماع الثورة " "أن الموقف الاستعماري يجعل الأشياء تأخذ طابعا خاصا، و على أولئك الذين يحاولون أن يستخلصوا الشخصية الجزائرية الأساسية أو يعمدون إلى معرفة نفسية المواطن الأصلي ... وبالتالي فلا يمكن في هذه اللحظات المليئة بالصراع أن نستكشف نمطا موحدا الشخصية الجزائرية و إنما سنجد أن هذه الشخصية الجزائرية كما تتمثل في عهد الثورة و حرب التحرير قد سمحت لنفسها بالقيام بأي تصرف محتمل الوقوع من أجل بلوغ الهدف النهائي" .

فالشخصية الجزائرية لا تبحث عن التعبير عن شخصيتها من خلال السلوك الظاهر وقت الحرب و إنما تسعى الشخصية الجزائرية هنا إلى تحقيق هدف واحد أيا يكن نوع السلوك الذي يتطلبه ويستلزمه ذلك الهدف. وهذا بطبيعة الحال يختلف عن الشخصية الأساسية للجزائري كما تجلت بعد ذلك في فترة السلام عقب الاستقلال.[1]

فالشخصية الجزائرية كما تجلت في أعمال فانون ليست شخصية عادية محكومة بالأوضاع الطبيعية لحياة الكائن البشري، وبالتالي لا يمكن أن يكون السلوك الذي تؤديه هذه الشخصية مرتبطا ارتباطا عضويا بحقيقة الشخصية التي تؤدي ذلك السلوك لأنها قد تقبل أداء سلوكا استثنائي بقصد تحقيق الهادف العام الذي ارتضته الثورة لنفسها.

وقد يستلزم هذا الهدف مئات وآلاف الأنواع من السلوك الذي قد لا تصدر مباشرة عن الشخصية تعبيرا عن حقيقتها ووضعيتها و لكنها تقبلها بدافع عملي للوصول إلى الغرض المطلوب.

فالشخصية الجزائرية تظهر لنا بوضوح من هذا الموقف الطبي الصحي العام لأن الشخصية الجزائرية عانت عناء مرا من وفاة المجاهدين المحتمين بدورهم و اللاجئين إلى مساكنهم سرا، ولكنها أبت الخضوع لأحكام المستعمر، وأبت على نفسها إلا أن تحتمل الظروف القاسية حتى تمكنت من استخدام أسلوب في التحايل من أجل مواجهة الموقف والاعتماد على طاقات جديدة في التفكير

---

[1] عبد الحميد حيفري: فرانتز فانون بعض ملامح الشخصية الجزائرية في كتاباته، ص 42

والمواجهة والتكيف مثل الذهاب إلى حد الاعتماد على الأجانب لتوسطهم في الحصول على الدواء، مقابل المنافع المغرية.

تلك هي الشخصية الجزائرية التي يعبر عنها فانون في مؤلفاته ... أنها لم تكن مجرد شخصية جزائرية بالمعنى الفكري أو الإيديولوجي، بل هي الشخصية الجزائرية بالمعنى النفسي، و بالمعنى المرتبط بدلالات الطب النفسي، لأن فانون كان طبيبا للأمراض العقلية و كلامه عن الشخصية الجزائرية، وإن كان مصبوغا في قالب أدبي فهو يعبر بغير أدنى شكل عن دراسة نفسية من الدرجة الأولى لهذه الشخصية.

وهنا نحصل إلى ما نود أن نبرزه في هذه الدراسة وهو أنه فعلا قد استخدمت هذه الشخصية قدرتها الكاملة إبان حرب التحرير ونشأ فوق الأرض الجزائرية مجتمع جديد... فكما يقول فانون في مقدمة كتابه: "عالم اجتماع الثورة " رجال الجزائر و نساؤها لا يشبهون اليوم رجال ونساء عام 1830، فالجزائر القديمة قد انتهت إن هذا الدم البريء الذي يتفجر من الشرايين المتنكرة فوق التراب الوطني قد رفع إلى وجود إنسانية جديدة. "أو كما قال في الصفحة 12 من نفس الكتاب":...قد تبنت الأمة الجزائرية اليوم شخصية استثنائية أخرى لم تكن موسومة في آفاق خالية و لم تعد وليدة خيالات غامضة قد اعتجنتها الخرافات والأوهام، ذلك أنها قلب الجزائري الجديد ذاته، و هو رجل ذو طبيعة جديدة و أبعاد مستحدثة لوجوده".[1]

أن الاستعمار المكلف بتحطيم أصالة الشعب الجزائري و تفتيت صور الوجود المحرك للشخصية الجزائرية يوجدون أقصى جهودهم على لباس الحايك الذي صار ينظر إليه خلال معركة التحرير كرمز لشخصية المرأة الجزائرية هي عماد الثورة والثقافة في آن معا وأن فقد شخصيتها و خضوعها لتصرفات الأجنبية وتبديل عقلياتها من شأنه أن يقلل من الحماس الثوري وأن يحطم الحضارة الجزائرية الأصلية بل ويؤدي إلى الاستسلام للعدو الباغي.

فقد قوت فرنسا إيمانها خلال المعركة في المرأة الجزائرية بوصفها عنصر من عناصر التأييد لنفاذ الحضارة الغربية إلى المجتمع الأصلي و للقضاء بالتالي على كل بوادر الشخصية الجزائرية، وكان الأمل ينبعث لديها مع كل امرأة جزائرية جديدة تتخلص من الحايك. فكأنما كل جسد يتحرر من

---

[1] عبد الحميد حيفري: فرانتز فانون بعض ملامح الشخصية الجزائرية في كتاباته، ص 44

قيد الحايك التقليدي يعبر عن أن الجزائر تبدأ في فقد شخصيتها المتعصبة وتقبل اغتصاب الاحتلال لها.

وفي هذا المجال يقول فانون في "مؤلفه الجزائر ترفع نقابها": "... تحدد الإدارة الاستعمارية مذهبا سياسيا دقيقا على نحو: إذا أردنا أن نضرب المجتمع الجزائري في سياقه المتلاحم وفي مقدمته على المقاومة والصمود، فينبغي أو لا أن نستولي على المرأة من وراء حجابها حيث تختفي، وفي المنازل حيث يخفيها الرجل".[1]

لم تتجلى هده الملامح الثابتة للشخصية الجزائرية عند فانون إلا بعد اندلاع الثورة التحريرية المسلحة. فقد قفز فانون "من التمرد على الزنجية إلى الثورة الوطنية القومية في نطاق حرب التحرير الجزائرية لان الثورة الجزائرية أتاحت لها اتصالات جديدة، وأمدته بتجربة ضخمة".[2]

وقد أكتشف فانون بأن الثورة الجزائرية تستمد أصولها أولا وقبل كل شيء من منبع استرجاع التراث الماضي الذي يذكر بأن الجزائر منتمية إلى قيم حضارية ومتمسكة على مر السنين بشخصية عربية أصلية.

وتطلع فانون على كل المحاولات التي قام بها الاستعمار الفرنسي للقضاء على الثقافة الوطنية الجزائرية وكتشف عند الشعب الجزائري وجوده وكيانه وأن الحرب التي يشنها المستعمر لا تسعى سوى لمحاولة فاشلة تستهدف محو شخصية شعب بأكمله.

---

[1] عبد الحميد حيفري: فرانتز فانون بعض ملامح الشخصية الجزائرية في كتاباته، ص 52
[2] المصدرنفسه، ص 53

نبذة تاريخية عن حياة فرانس فانون:

ولد فرانس فانون في 20 يوليو1925 في بلدة فور دو فرانس من جزر (المار تينيك) من عائلة من الموظفين.

تميزت فترة ما كانت خالة الشباب من جيله الذين تأثروا بعواقب الحرب العالمية الثانية في جزر "المارتينيك".

وفي عام 1943 سافر إلى "الدومينيك" الجزيرة المجاورة ليلتحق هناك بالقوى الفرنسية الحرة التي شاركت في الحرب تحت قيادة الجنرال ديغول وقد مكث فترة في مدينة بجاية. وقد شارك في العديد من الجزائريين في عمليات إنزال القوات في مقاطعة بروفنس.

وفي عام 1945 أصيب فانون بجروح في إحدى المعارك، ومنح وساما لشجاعة، ثم سرح من الجيش، عائدا إلى المارتينيك حيث استأنف دراسته وحصل على شهادة الباكالوريا.

وفي عام 1947 سافر إلى فرنسا بعد حصوله على منحة دراسية وفي مدينة ليون عاش حياة طالب نشيط، دون أن يهمل دراسته في الطب، وكان يقرأ كثير ويتابع دروسا في الفلسفة.[1]

وفي عام 1951 أنهى أطروحته وحضر لامتحان الداخلية لمستشفيات الطب النفساني. وتزوج عام 1952 من فتاة ليونية اسمها جوزي ورزق منها ولد اسمه اوليفة وقد أتم تخصصه في الطب النفساني مع الدكتور "تووسكيل".

وفي نفس تلك السنة أي 1952 أصدر له عن دار (سوي Seuil) في باريس أول كتاب من تقديم (فرانسيس جانسون) بعنوان سود الوجوه بيض الأقنعة. كتشجيع لأفكاره الثورية.

وفي عام1953 نجح في مسابقة الالتحاق (ميديكا Médicat) لمستشفيات الأمراض العقلية والتمس منصبا البليدة.

---

[1] فرانز فانون: معذبو الأرض، دون طبعة، مرغم للنشر، الرغاية، الجزائر، 1990 ص 10

اندمج فانون كرجل علم في حركة تجديد الطب النفساني التي كانت في بدايتها الأولى في أوروبا آنذاك. وكرس أولى أعماله للتخصص في الأمراض التي تظهر على المغاربة المعالجين في مستشفيات فرنسا. ولم يكن يتجاوز السابعة والعشرين من عمره عندما أثبت في كتابة سود بيض الأقنعة تأثيرات العنصرية لشخصية المغلوبين على أمرهم. وقد كانت له علاقة وصداقات في أوساط اليسار الفرنسي المثقف في مجلة "الأزمنة المعاصرة Les temps modernes". وفي مجلة "الفكر Esprit"

فقد كان فانون، منذ اندلاع الكفاح المسلح على اتصال بجبهة التحرير الوطني، وكانت له نشاطات علنية محلية وفي الفرع المحلي لجمعية الصداقات الجزائرية لمساندة المحتجزين، كما كانت له نشاطات أخرى سرية، حيث عهدت إليه المنظمة برعاية الجرحى الذين أصيبوا بصدمات نفسية من جراء القمع. وفي نهاية عام 1956 أصبح على اتصال مع لجنة التنسيق والتنفيذ.

كانت نهاية النشاط في شهر يناير 1957.وبعد أن أكتشف بعث رسالة استقالة صاخبة إلى الحاكم العام وأبعد على أثرها من التراب الجزائري.

في فرنسا تعهدته فيدرالية جبهة التحرير الوطني التي أرسلته إلى تونس لينظم إلى المنظمة الجزائرية في الخارج. وبمجرد وصوله إلى "القاعدة" في تونس، أوكلت إليه مهام الإعلام، وكذلك التوجه إلى مسؤول الصحة العمومية التونسية. وبذلك أصبح طبيبا في مستشفي الأمراض العقلية.

في ديسمبر 1958 اختير فانون عضوا في الوفد الجزائري إلى مؤتمر إتحاد الشعوب الإفريقية الذي عقد في أكرا عاصمة غانا الحديثة الاستقلال.

وفي مارس 1959 شارك فانون في المؤتمر الثاني للكتاب والفنانين السود في روما. وفي يناير 1960 كان ضمن الوفد الجزائري في المؤتمر الثاني لشعوب إفريقيا الذي انعقد في تونس, وهذا بعد فترة نقاهة قصيرة قضاها اثر حادث سيارة وقع له أثناء قيامه بمهمة كلفته بها المنظمة الجزائرية في الحدود المغربية. وفي تلك الأثناء صدر له في باريس كتاب ثاني بعنوان " العالم الخامس للثورة الجزائرية".

وفي مارس عين ممثلا دائما للحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية في أكرا وشارك في مؤتمرات افريقية عديدة.

وخلال هذا الصيف المليء بالنشاط قام بزيارة خاصة لباتريس في الكونغو بدأ يشعر بالمرض يدب في أو صالة.

وأثناء مروره بتونس في ديسمبر 1960 أجرى فحوصات طبية، وكانت نتيجة التشخيص واضحة: سرطان في الدم.

كان يعرف وهو في الخامس والثلاثين من عمره بأنه سيموت، مع ذلك فأخذ يقدم عروضا وشروحا على ضباط جيش التحرير الوطني على حدود التونسية، ويملي على زوجته نصوصا ثم طبعها على الآلة الراقنة سيئا فشيئا.

هذه النصوص كانت تشكل كتاب معذبو الأرض الذي فرغ منه في شهر يوليو 1961. وفي أكتوبر أرسلته المنظمة إلى مستشفى الولايات المتحدة الأمريكية، حيث كان يأمل أن يستفيد من أحداث الأبحاث العلمية للتغلب على مرضه. ثم تبعثه زوجته وابنه. وكان سروره عظيما حين رأى في نهاية شهر نوفمبر النسخة الأولى من كتابه ومات يوم 6 ديسمبر 1961.[1]

[1] فرانز فانون: معذبو الأرض، دون طبعة، مرغم للنشر، الرغاية، الجزائر، 1990 ص 11.

نبذة تاريخية عن حياة ألبير كامو:

ولد آلبير كامو ببلدة "موندوفي"التي تسمى اليوم " الذرعان" على مقربة من مدينة عنابة في 7 نوفمبر 1913 إبان الاحتلال الفرنسي. فقد تربى في أسرة فقيرة، كان والده يشغل عاملا بمستودع للخمور في مزرعة" شابو جاندار" وتسمى حاليا شبايطا مختار وقد مات قتيلا في بداية 1914 وعلى إثر ذلك نزلت أمه إلى الجزائر واستقرت بها في حي بلكور مع الصغيرين وأخذت في بداية الأمر تشتغل في الترسانة ثم انصرفت للعمل في المنازل.

كان كامو وهو صبي يتردد على المدرسة الواقعة في شارع "اومرات" حيث وجد المساعد عند احد مدرسيه "لويس جرمان" الذي مكنه من متابعة دراسته في الثانوية، وما لبث التلميذ كامو أن لفت إليه بنبوغه أنظار مدرس الفلسفة " جان غريتي" الذي كان له أثر كبير في توجيهه فهو الذي بعث فيه موهبة الكتابة وشجعه على المضي قدما في هذا الطريق.

وفي 1930 أنهى كامو دراسته الثانوية، وبذلك انطوت المرحلة الأولى من حياته. وفي سنة 1932 انخرط كامو في شعبة الآداب العليا وقد أحدث انخراطه فيها استياءا كبيرا في وسطه العائلي.[1]

كانت السنوات التي قضاها كامو في الدراسة حافلة بالنشاط، فقد أخذ يناضل في صفوف المثقفين اليساريين المتطرفين بقلمه، وهذا ما دعاه للشرع وهو في سن الثانية والعشرين في تأليف كتابه" الوجه والقفا" وأخذ بعد ذلك يتهم بدار شؤون الثقافة التي فتحت أبوابها وأسس مع بعض أصدقائه " مسرح الشغل" ففكروا في إنشاء جريدة تنقل إليهم الأفكار الصحيحة كل صباح وما لبث اشتهر بمقالاته وتحقيقاته من ذلك الرعيل من الفرنسيين القلائل الذين كانت شجاعتهم ونزاهتهم تدفعهم إلى الصدع بكلمة الحق، والحقيقة أن مواقف كامو ومقالاته في جريدة" الجزائر الجمهورية" خير دليل على ما نقول.[2]

وفي عام 1950 نال جائزة الفلسفة وقدم في عام التالي بحثه المعروف عن (الأفلاطونية الجديدة) حائز على جائزة نوبل بعد(رود يارد كيلنغ) ليس من أجل كتابه(السقطة) الذي صدر في السنة السابعة، بل منت أجل سلسلة مقالات كتبها وانتقد فيها عقوبة الإعلام.

---

[1] حفناوي بعلي: ثقافة، مجلة ثقافية شعرية، الأردن، العدد 115، كانون الثاني 2005، ص 42.
[2] غابطان بيكون: الأدب الفرنسي الجديد، دون ط، بيروت لبنان، دراسة وثائق منشورات حويدات.

لقد كتب ماكو عددا كبيرا من القصص الفلسفية أهمها:

الغريب 1942, الطاعون عام 1947، الإنسان المتمرد1951.

ومجموعة قصص: المنفى والملكوت عام 1957 بالإضافة إلى أسطورة سيزيف توفى كامو في 4 يونيو 1960 بحادث سيارة، وكان قد علق في أوائل حياته الأدبية: أن أكثر موت عبثي تخليه هو الموت بحادث سيارة.[1]

[1] د. سامية أحمد سعد: في الأدب الفرنسي المعاصر، الهيئة المصرية للكتاب 1976، دون ط، ص 231.

الفصل الأول

موقف فرانس فانون من الثورة الجزائرية:

فرانز فانون بدأ يكتشف حقيقة الواقع الاستعماري قبل اندماجه في الثورة الجزائرية، أي فيما بين 1955 و1957، فقد كتب فانون مقالا كان أعد ليلقى في مؤتمر الكتاب والفنانين الزنوج الذي انعقد بباريس في شهر سبتمبر 1956 نشر بعد ذلك في مجموعة " من أجل إفريقيا" بعنوان "عنصرية وثقافية"، وهو يمثل بداية تحول جديد في نظر فانون إلى الثقافة الوطنية والقيم المنبثقة عنها، وفيه يقول "أن الموقف المتبقية (ويقصد فانون بذلك مواقف العنصرية المتطرفة التي تحاول تبريرا ماديا) في طريقها إلى الزوال، فهذه العنصرية التي تظهر في مظهر العقلانية والحتمية الوراثية والمظهرية تتحول إلى عنصرية ثقافية، ويصبح موضوع العنصرية ليس هو الإنسان الخاص ولكن نمط وجوده وتلتحق القيم الغربية، بالدعوة الشهيرة إلى حرب الصليب ضد الهلال"[1].

أن هدف الاستعمار هو غلق الثقافة بدل القضاء عليها نهائيا، ومن غير الممكن أن الإنسان يتطور في إطار ضيق عن ثقافته.

إن فرانزا فانون قد قضى ثلاث سنوات في الجزائر وخلال ه>ه المدة تعرف على جوانب من القضية الجزائرية، وكان يبحث من خلال الثورة الجزائرية على تجربة يجد فيها استقراره الفكري والنفسي.[2]

ومن الممكن تقييم إنتاج فانون إلى أقسام أو مراحل واضحة، هناك عهدان منفصلان عن بعضهما في تفكير فانون: عهد ما قبل الثورة الجزائرية، وعهد الثورة الجزائرية.

وهذا العهد الثاني يمكن نقسمه هو الأخر إلى ثلاث أقسام:

الأولى: مرحلة التعرف على الثورة.

الثانية: مرحلة الاندماج في الثورة الجزائرية.

الثالثة: مرحلة التفكير في نوع من الأممية على مستوى العالم الثالث.

المرحلة الأولى: تعكس هذه المرحلة رسالة الاستقالة من منصبه في مستشفى الأمراض العقلية بالبليدة والتي وجهها إلى "الوزير المقيم" روبيرت لاكوست عام1956.

فهذه الرسالة تؤكد اكتشاف فانون للشعب الجزائري، ووجوده المتميز.[3]

---

[1] محمد الميلي: فرانز فانون والثورة الجزائرية، الطبعة الأولى، بيروت لبنان، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1393هـ، 1973 م، ص125.
[2] المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
[3] المصدر نفسه، الصفحة، 126.

ويمكن القول بأن موقف فانون في هذه المرحلة لا يكاد يختلف عن موقف الأوروبيين الأحرار الذين رفضوا أساليب الاستعمار وأدانوا دون أن يتبنوا كليا موقف الثورة الجزائرية على أن فانون لم ينفك أن انفصل على خط الليبراليين ليتحكى عن موقف "الحكم" أو"الموقف على الحياة" ويلتحق بصفوف المناضلين الجزائريين متبنيا لقضيتهم مدافعا عنها بكل مل يملك من بلاغة وقام، وقوة حماس وحرارة اندفاع، ويمكن أن تتبين التطور هذا من تتبع كتاباته خلال عام1956 وعام 1957.

فإذا كانت رسالة استقالته إلى لاكوست عن فانون الليبرالي الفرنسي، فإن بعض "مقالاته في المقاومة الجزائرية" وفي "المجاهد" تكشف بعض العوامل التي دفعته إلى الانضمام الكلي والمطلق للثورة الجزائرية، وقبل أن نتحدث عن هذه العوامل يحسن أن نتحدث عن بعض العوامل المساعدة:

أولا: كان يمجد الإنسان كقيمة إلى حد العبادة، ولا شك في أن هذا الإيمان بالإنسان قد هيأ فانون لان يحتضن قضية "الإنسان في الجزائر".

ثانيا: فانون بصفه زنجيا منحدر من أصول إفريقية له حساب مع الاستعمار. ولاشك في أنه بعد التحاقه بالجزائر كرئيس مصلحة في مستشفى الأمراض العقلية بالبليدة، قد تمكن من العثور على وجود عامل مشترك بين شعب ... والشعب الجزائري.

فعامل الاضطهاد والتمييز العنصري، الذي لمسه فانون في معاملة الفرنسيين للجزائريين من شأنهما أن يدفعا إلى اتجاه التضامن مع الشعب الجزائري دون غيره من الاتجاهات.

ثالثا: ثقافة فانون وتكوينه الفكري، بالإضافة إلى وضعية شعبه كل ذلك يجعله مناهضا للاستعمار. لكن مناهضة الاستعمار لم تكن لتجد لفانون عند إقامته بفرنسا إلا وسيلة واحدة من وسائل التعبير وهي الكتابة النظرية.[1]

أما الكفاح العلمي فقد كانت آفاقه مسدودة في وجهه حتى عام 1953، أخذت غمار الكفاح المسلح تفرض نفسها على المجتمع، وها هي الفرصة تتاح له لكي يشارك في هذه الثورة عن طريق الخدمات التي يؤديها إلى جيش التحرير الوطني هذه العوامل الموضوعة تتدعم بعوامل أخرى يمكن استجلائها من بعض كتابات فانون فمقاله "الجزائر تجاه الجلادين الفرنسيين" الذي نشر عام 1957 بالمجاهد يمكن أن نستنتج منه بعد الحالات والحوادث التي دفعت فانون كي يتخلى عن موقف "الليبرالي" المحايد إلى موقف المتضامن المطلق غير المشروط، فهو يقول في حال المقال: "خلال الثلاثة أشهر الأولى من عام 1956 ظهرت حالات جنون عديدة عند رجال البوليس، والاضطرابات التي صاحبت هذه الحالات في

---

[1] محمد الميلي: فرانز فانون والثورة الجزائرية، ص 126.

المحيط العائلي، مثل تهديد الزوجات بالموت أو تعذيب الأطفال أو حالات الأرق والكابوس أو التفكير في الانتحار، أو الأخطاء المهنية والاشتباك مع الزملاء والإهمال في العمل وتدهور الطاقة والموقف الوقحة مع الرؤساء كل ذلك قد تسبب في معالجة هؤلاء المرض معالجة طبية كما تسبب في نقلهم إلى فرنسا أو تحويلهم إلى مصالح أخرى".[1]

انتقل بعد ذلك فانون من المرحلة الأولى إلى مرحلة الاندماج الكلي في الثورة الجزائرية والتي أنتج فيها كتابات عديدة أهمها في "الثورة الجزائرية عامها الخامس" أو "سوسيولوجية الثورة" ومقالات المقاومة الجزائرية.

ففي كتاب الجزائر في عامها الخامس في الفصل 1 منه يتعرض لشرح التكنيك الذي يعمد إليه الاستعمار الفرنسي لتمزيق المجتمع الجزائري، و القضاء على الشخصية المعنوية، و الدور الذي تلعبه المرأة الجزائرية في الحفاظ على الشخصية الوطنية.

وفي هذا الفصل يظهر تفطن فانون للمحاولات الاستعمارية التي تهدف إلى هضم المرأة الجزائرية ودمجها في المجتمع الأوربي.[2]

وفي هذا الفصل يستعرض فانون بعض الأساليب التي يعمد إليها الفرنسيون مثل استغلال الفقر والجوع للنفاد والتسرب إلى داخل الأسر الجزائرية بتوزيع السميد إليهم، وفي هذا الصدد يردد فانون ملاحظة صادقة عندما يؤكد بأن:" البرنامج الاستعماري يعتبر المرأة هي التي يجب أن تتعهد بالدور التاريخي في تحريك الرجل الجزائري، وتحويل المرأة الجزائرية وربحها إلى جانب القيم الغربية وانتزاعها من وضعها التقليدي يعني امتلاك سيطرة حقيقية على الرجل وامتلاك وسائل عملية وفعالة لتحطيم الثقافة الجزائرية".[3]

كما يعمد الاستعمار أن يسقط الحجاب أي الحايك للجزائريات اللواتي يعملن عندهم، وسوف نرى أن الحجاب هو واحد من عناصر أخرى في جملة الألبسة التقليدي في الجزائر سيصبح مدار معركة ضخمة، تعبئ قوى الاحتلال، وقد قامت الإدارة الفرنسية الاستعمارية بوضع نظرية سياسية محددة، قائلة: "إذا أردنا أن نضرب المجتمع الجزائري في صميم بنيته، وفي قدراته على المقاومة، فيتوجب

---

[1] محمد الميلي: فرانز فانون والثورة الجزائرية، الطبعة الأولى، بيروت لبنان، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1393هـ، 1973 م، ص126.
[2] فرانتز فانون: معذبو الأرض، ص 35.
[3] المصدر نفسه، ص 36

علينا قبل كل شيء، كسب النساء، ويجب علينا السعي للبحث عنهم خلف الحجاب حيث يتوارين، وفي المنازل حيث يخفيهن الرجل"[1]

كما كان للمرأة موقفا إزاء من كانت تعاني منه من جهل بسبب سياسة التحقير والتجهيل التي اعتمدتها السلطات الاستعمارية في حق الشعب الجزائري، دون تمييز، وهذا رغم إلحاح العديد من الأحزاب والجمعيات على أن تأخذ السلطات الاستعمارية على عاتقها مهمة تدريس الشباب الجزائري الذي أصبح مستعدا لذلك بعد أن كان في الوقت سابق رافضا التحاقه بالمدرسة الفرنسية وتعلم لغتها"[2]

وفعلا قد كانت التغييرات الاجتماعية والسياسية التي عرفتها الثورة في الوقت قصير ملفتا لنظر الكثيرين الذين أولوا أهمية الكبيرة لدور المرأة في الحفاظ على الشخصية الوطنية سواء أكانت متعلمة أم جاهلة سواء أكانت متمدنة أم ريفية، وقد كانت المرأة الريفية محط الأنظار لأنها ساهمة في الكفاح المسلح بشكل ملفت للنظر. وإذا كان الطابع الديني هو المسيطر على الحياة الثقافية نظرا للعلاقة القوية بين الدين والتعليم وهذا الترابط هو الذي زاد في تعقيد المهمة أمام عمليات المسخ الثقافي والفكري الفرنسي، وقد أكد لاموريس على هذا الترابط بين الدين ومظاهر الحياة الثقافية في الجزائر القرن الماضي عندما سجل بأن "التعليم العام والمحاكم ليست إلا مظاهر تبعث من المسجد الذي يسيطر على كل حركة سياسية وثقافية" [3] ليضيف بعد دلك أن تعلم" الكتابة عند المسلمين يعني التدرب على كتابة عبارات كتابهم المقدس، والقرآن نفسه هو أساس التعليم الابتدائي ليصبح بعد ذلك موضوع الدراسة الثانوية وهدف الدراسات العليا"[4]

كانت الأسر الجزائرية تعلم الابن في نظرهم ضمان القوت، وتعلم البنت هو "نهاية النهايات" على حد قولهم.

يتمثل موقف فرانز فانون السياسي في تحقيق الوحدة الإفريقية التي تستطيع العمل مع آسيا وأمريكا اللاتينية واستقلالها السياسي والثقافي والاقتصادي من أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية، وفي هذا المعنى أكدت سيمون دي يوفوار قائلة: "كان (فانون) يحلم بالوحدة الإفريقية المتحررة من كل الاستغلال الأجنبي"[5] وبالإضافة إلى الإعلام كان فانون يقوم بمعالجة جيش التحرير الوطني في الحدود التونسية الجزائرية وكان يكلف جيش التحرير الوطني أيضا بمهام أخرى اتجاه المقاتلين الجزائريين في الحدود

---

[1] فرانتز فانون: معذبو الأرض، ص 30

[2] Messaouda yahyaoui، يحياوي مسعودة، إبراهيم عباس، كرليل عبد القادر، دور المرأة في الثورة الجزائرية، الطبعة خاصة بوزارة المجاهدين، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954.

[3] محمد الميلي: فرانز فانون والثورة الجزائرية، ص 138.

[4] المصدرنفسه، الصفحة نفسها.

[5] Simone de Beauvoire، عبد المجيد عمراني: النخبة الفرنسية المثقفة والثورة الجزائرية، دون ط، باتنة، دار الشهاب، ص 93.

المغربية الجزائرية وكتب فانون عن هذه الثورة قائلا: "أن الثورة في عمقها، وحقيقتها هي التي تحول الإنسان وتجدد المجتمع فهي متطورة جدا، وهذا الأكسجين الذي يبدع وينظم الأفراد وتلك هي الثورة الجزائرية".[1]

فعلا أن فانون أدرك حقيقة الثورة الجزائرية لشملها لجميع الفئات والشرائح الاجتماعية، وخاصة كفاح ومشاركة المرأة الجزائرية التي برهنت بعملها الفعال في تحرير الجزائر، ويرى فانون أن الاستعمار الفرنسي أدرك بأن: إذا أردنا تحطيم بنية المجتمع الجزائري، وقدرته على المقاومة يجب علينا أولا أن نغزو النساء، ويجب علينا الذهاب إليهم ووجودهم وراء اللحاف أين يخفون أنفسهم وفي بيوتهم حيث يمنعهم الرجال من الخروج.[2]

لقد اقتنع فانون بان مشاركة المرأة الجزائرية في الثورة التحريرية كان عملها يتمثل في حمل الحقائب المملوءة بالقنابل اليدوية المختفية تحث العباءة التقليدية ووضعها في الأماكن الإستراتيجية إلى جانب حركته الفعالة في الثورة الجزائرية من القيام بمعالجة جيش التحرير الوطني إلى الإعلام، كان فانون يؤيد كل الحركات الثورية الإفريقية وخاصة التي تساند الشعب الجزائري في تحقيق الاستقلال والحرية حيث كتب في جريدة " المجاهد" مؤكدا أن الثورة الفتية وحركتها السياسية هي تعبير عن استقلال الحركات التحريرية في العالم الثالث، وهذا الاستقلال سيعبر عن الثورة الاجتماعية والديمقراطية الشعبية. والجزائر أمة إسلامية تنتمي إلى دول المغرب العربي والتي هي شكل من الهلال لمنطقة شمال إفريقيا. حيث كتبت جريدة "المجاهد" قائلة: إن المغرب العربي الكبير استغل الاحتياجات ولفائدة إستراتيجية الاستعمار، سوف يتغلب على هذه المحن ويتحد لكي يكون مغربا قويا قادرا على تطوير إمكانياته المادية لفائدة شعب شمال لإفريقيا.[3]

إضافية إلى النشاطات السياسية والفعلية لفانون، فإنه كان يتمنى بأن دول شمال إفريقيا تتحد مع إفريقيا السوداء لكي تتغلب على الصعوبات وحماية استقلالها الاقتصادي والثقافي من التبعية لأوروبا حيث يرى فانون بأن الثورة الجزائرية أثرت في شعوب إفريقيا السوداء، وبدأت هذه الشعوب تتحرك نحو التخلص من التبعية الاستعمارية، وكان فانون يتمنى بأن تضاف القاعدة العسكرية الثامنة لجيش جبهة

---

[1] فرانتز فانون: معذبو الأرض، ص 30

[2] IBID : عبد المجيد عمراني: النخبة الفرنسية المثقفة والثورة الجزائرية، ص 94.

[3] El-Moudjahid : المصدر نفسه ص 95.

التحرير الوطني في الصحراء الكبرى لفك الحصار على الشمال الجزائري، وبعد 1958 قام فانون بزيارة لكل من مالي والنيجر لتهيئة الظروف ودراسة الأوضاع لإنشاء هذه القاعدة الإستراتيجية.[1]

لقد التزم فانون بمشاركتها الفعلية في الثورة الجزائرية وعمل من أجل نجاحها كمثقف ثوري، حيث قالت عنه سيمون دي بوفوار: "من أجل الصداقة التي كانت بيننا، لقد شعرنا نحوه، كذلك ماذا يستطيع أن يقدم لمستقبل الجزائر وإفريقيا...حقيقة إنه كان رجل فد".[2]

لقد عالج فانون في العدد الثاني والعشرين من "المجاهد" الصادر بتاريخ 16 أفريل 1958 وكتب يقول: "إن الاستعمار ليس جزء من التاريخ الجزائري، بل هو حادث مؤلم وكريه لم يكن له مغزى سوى أنه عطل عملية التطور المنسجم للمجتمع والأمة".[3]

نستنتج من خلال ما تقدم أن فانون قد قرر الدفاع عن النضال من أجل القضية العادلة للشعب الجزائري دون أن يأخذ بعين الاعتبار موقف الرأي العام الفرنسي عامة أو الاتجاه اليساري خاصة الذي كان موقفه سلبيا أي بين المد والجزر تجاه الثورة الجزائرية، وفعلا فقيادة السياسية والثورية التي تساهم في تطوير فلسفة الثورة الجزائرية الفتية. إذ التزم بالدفاع عن الشرعية التاريخية للشعب الجزائري فكرا وروحا وعملا، حيث كلف بتمثيل للحكومة الجزائرية المؤقتة في أكرا، إذ قالت عنه سيمون دي بوفوار مؤكدة:" فالحكومة الجزائرية المؤقتة أرسلته كسفير في أكرا، وقام بعدة رحلات عبر إفريقيا لكي يؤكد مساندة الجزائر لكل الذين قاموا بثورة ضد السيطرة الاستعمارية".[4]

وبمعنى آخر أن تأييد المثقفين إلى جانب القضية العادلة، وعندما كتب سارتر تمهيد لكتاب فانون "معذبو الأرض" وضح "بأن فانون أكد تضامنه الكامل مع الشعب الجزائري كفرد........".

عند تشييع جنازة فانون صرح ممثل الحكومة الجزائرية المؤقتة السيد كريم بلقاسم قائلا: "فرانز فانون، مثالك سيبقى دائما حيا نم واسترح في سلام فالجزائر لن تنساك أبدا".[5]

فالجزائر في عهد الاستقلال لم تنسى فانون بل شيدت مؤسسات باسمه وكتبت عنه عدة كتب وبحوث أكاديمية في الجامعات الجزائرية.

إذن فموقف فانون كان لصالح الثورة الجزائرية لا بالعاطفة أو بالتدعيم المعنوي أو بالكتابة فقط بل بالعمل الميداني الفعلي الذي كان ضد وطنه الأصلي.

---

[1] El-Moudjahid عبد المجيد عمراني، النخبة الفرنسية المثقفة والثورة الجزائرية، ص 95.

[2] Simone de Beauvoir، المصدر نفسه، ص 96

[3] العربي الزبيري: المثقفون الجزائريون والثورة، دون ط، رويبة الجزائر، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، 1995، ص149.

[4] Simone de Beauvoir: المصدر نفسه، ص 97.

[5] Belkacem Krim, franrz Fanone, El-Moudjahid: المصدر نفسه، ص 98.

آراء عن فانون ومدى تأثره بالثورة الجزائرية:

هناك كثير من الباحثين الغربيين من بالغ في تضخيم دور فانون وتأثيره على مجرى الثورة الجزائرية إلى درجة القول:

"بأن إقامة فانون بعض الوقت بين إطارات الجيش في الحدود "كانت حاسمة في فصل النزاعات التي نشبت بالجزائر إبان الاستقلال. لان الشق المنتصر خلال أزمة الحكومة المؤقتة كان هو الشق الذي اعتبر نفسه وريثا لفكر فانون وممثلا للاشتراكية والتقدم.

ومع اشتداد العناية بفانون، ظهرت تأكيدات هي أبعد ما تكون عن الحقيقة، مثل القول بأن فانون كان من رجال أول نوفمبر، أو أنه هو الذي وضع برنامج وادي الصومام، وهي تأكيدات جعلت صورة فانون تقترب أكثر من الأسطورة وتبتعد عن الحقيقة.

والواقع أن قيمة فكر فانون لم يكن لينقص عندما تقال الحقيقة عن تاريخ انضمامه للثورة الجزائرية، ولذلك لم أفهم الدافع الذي دفع السيد فانون إلى أن تؤكد لأحد الذين كتبوا عن فانون بأنه كان في صفوف الثورة مند فاتح أول نوفمبر 1954.

ومهما يكن من شيء فنحن لا نذكر وجود أي تأثير فانون في الثورة الجزائرية، فتأثير فانون موجود وقائم.

لكن الحقيقة التي يهمنا الكشف عنها في هذه المحاولة تتصل بنقطتين لابد من توضيحها إنصافا للتاريخ و إنصاف لفانون نفسه.

أ – الكشف عن تضخيم تأثير فانون في الثورة الجزائرية وتحليل عوامل ذلك.

ب – توضيح نقطة هامة بقيت حتى الآن في الظل ولم تحظ بعناية أي بحث على ما أعرف. وهي تأثير الثورة في فانون وفي تطوره الفكري.

إذن فالذي نذكره هو سريان التأثير في اتجاه واحد من فانون إلى الثورة الجزائرية، والواقع أننا عندما نكشف مدى تأثير الثورة الجزائرية في فكر فانون نستطيع أن نفهم لماذا أثر فانون في هذه الثورة؟

فما دام فانون تأثر بهذه الثورة وهضم الكثير من أفكار و مبادئ الحركة الوطنية الجزائرية، وأصبح بالفعل جزائريا فإنه يصبح عمليا جزءا من هذه الثورة مثل كثيرين من الجزائريين الذين أثروا في توجيهها و صياغة مواقفها والتعبير عن خطها، وفي هذه الحالة يكون من الصعب عمليا انتزاع فانون من وسط التأثيرات التي تفاعل معها واعتبار كتاباته منفصلا، والاكتفاء بالكشف فقط على مدى تأثيره هو في ثورة أول نوفمبر.

إن التركيز في هذه النقطة بالذات، أي سريان التأثير من فانون إلى الثورة الجزائرية، دون محاولة الكشف عن الاتجاه المقابل.

يظل غير مفهوم عدد كثرين من الجزائريين الذين عاشوا ثورتهم فكرا وممارسة. وقد لمست عند غير واحد من الكوادر الجزائرية التي كانت محتكة بالحركة الوطنية وبثورة أول نوفمبر. هذا التساؤل ما هو تفسير توجيه كتابات الغرب لتلك الوجهة دون غيرها من الاتجاهات التي ترتبط بها ولا يمكن أن تنفصل عنها:

في اعتقادي أن ذلك يرجع إلى عدة عوامل هي:

1 -إن فانون الكاتب والمفكر كان معروفا في أوساط اليسار الفرنسي قبل قيام الثورة الجزائرية فكتابه"بشرة سوداء أقنعة بيضا"صدر في باريس عام 1952وقدم له فرانسيس جانسون الذي كان من بين مريدي سارتر أنداك.

وهذا يعني أن شهرة فانون ككاتب و مفكر في أوساط اليسار الفرنسي كانت سابقة على قيام الثورة الجزائرية.

و إذا كانت بعض أوساطا اليسار الفرنسي محكمة في ذلك التاريخ بالحركة الوطنية الجزائرية فقد كانت تقتصر نشاطها على الدفاع عن المطالب السياسية لتلك الحركة دون أن تحاول الكشف عن جذورها و محركاتها العميقة.

وقد اشتهر فانون مع ظهور كتابه الأول في عام1952 نظرا إلى النقاش الذي صاحبه.[1]

[1] محمد الميلي: فرانز فانون والثورة الجزائرية، ص 33

والواقع أن كتابات فانون كلها من الذي يثير النقاش، ذلك أن فانون يتفاعل مع ما يكتبه بشدة، يتعلق بالفكرة التي يرشح أي المبدأ الذي يعرض بعنف و بصفة كلية، و يكره و يعادي بعنف و بصفة كلية. ولكي نستجلي جانبا من الحقيقة المتصلة بتأثير الثورة الجزائرية في فرانز فانون، وخاصة كتابه "الثورة في عامها الخامس".

الفصل I: تحدث عن دور المرأة الجزائرية في الحفاظ على الشخصية الوطنية: ويسرد فانون قصة الحجاب في الجزائر، فقصة الحجاب في الجزائر بدأت عام 1935/1930. وذلك لتحطيم أصالة الشعب الجزائري، وقد قامت الإدارة الاستعمارية بوضع نظرية سياسية محددة قائلة: "إذا أردنا أن نضر بالمجتمع الجزائري في صميم بنيته، وفي قدراته على المقاومة، فيجب علينا قبل كل شيء كسب النساء، ويجب علينا السعي للبحث عنهن خلف الحجاب، حيث يتوارين. وفي المنازل حيث يخفيهن الرجال"[1].

إذن فهدف الاستعمار من خلع الحجاب للجزائريين هو ضرب الشخصية الوطنية.

الفصل II: يتعلق بتسجيل مظاهر التغيرات الاجتماعية التي أدخلتها الثورة الجزائرية. فيدرس فانون موفق الشعب الجزائري من التكنولوجيا الحديثة التي حملها الاستعمار، والتغيير الذي طرأ على هذا الموقف بفعل اندلاع الثورة الجزائرية، فيختار لذلك دراسة الموقف من المذياع.[2]

إن أكثر من إشارة توحي بأن فانون يود التخلص نهائيا من موقفه السابقة. فبعد أن كان ينكر كل دور للتقليد ولا يعترف بالماضي ولا بالتاريخ ولا بالثقافية الوطنية، أصبح يؤكد بأن الثقافية التي كانت مجمدة برية من السيطرة الأجنبية يعادلها الاعتبار وهي لا تكون في هذه الحالة موضوع تفكير واستئناف، وتنشيط من الداخل ولكنها تصبح موضوع إعلان واعتزاز.[3]

وبعبارة أخرى أن فانون كان في حاجة إلى هذا التنصيل الكلي من موقفه السابقة التي كان يعتبر نفسه فرنسيا ومن هنا كان هذا الحماس، وكان هذا لاعتزاز، وكان هذا التقديس المظاهر التغيير التي أحدثها الثورة.

[1] محمد الميلي: فرانز فانون والثورة الجزائرية، ص 34.
[2] فرانتز فانون: العام الخامس للثورة الجزائرية، دون ط، الجزائر، المؤسسة الوطنية للاتصال، النشر والإشهار.2008، ص 25.
[3] محمد الميلي: فرانز فانون والثورة الجزائرية، ، ص 35

أن الطابع الذي اكتساه يتناول فانون للمرأة الجزائرية والثقافة الوطنية. قد ازداد تأكيدا بفعل عامل آخر وهو عامل الانتماء إلى شعب إفريقي مكافح ضد الاستعمار.

فإذا كان فانون ثائرا على العنصرية البيضاء، وإذا كانت الثقافة الغربية قد جذبته سواء في مظهرها الوجودي أو في شكلها الماركسي، فإنها لم تشبع فهمه إلى التحرر لسبب بسيط هي أنها كانت تعطيه حريته كمفرد لا انتماء له بل أنه لم يغفر لهذه الثقافة أنها جرفته في مراحل حياته الفكرية الأولى إلى دراجة جعلته يعتبر نفسه فرنسيا كاملا.

أما في الثورة الجزائرية فقد وجد هذا التحرر ووجد معه الانتماء إلى شعب إفريقي لا يمكن أن يرفضه من أجل لونه، وقد احس فانون بذلك وأكده بقوله: "إن شعبنا يخوض غمار كفاح تحرير نادرا ما يبرر العنصرية".[1]

قال فانون ذلك في 1956، أو في تلك المرحلة الانتقالية التي سبقت مباشرة انضمامه الكلي للثورة. لأنه شعر بأن الذي لونه الذي كان مصدر تعذيب نفسي أحيانا. لم يعد كذلك في الجزائر وخاصة بعد قيام الثورة.

بالإضافة إلى أن فانون كان بحكم الظروف التي تحكمت في تكوينه الفكري، كان لا يؤمن بأي دين، أما الإسلام فقد كان يجهل عنه كل شيء. ولهذا نجد أن كتاباته قبل الثورة لم يكن يتحدث فيها عن الإسلام بأشكال مختلفة.

صحيح أن فانون قد ساهم إسهاما داخل هذه الثورة لكنه تأثر بها وأفاد منها في تطوير فكرة. فقد وجد فيها تجربة عملية، حية، مكنته من تعديل الكثير من المفاهيم التي كان يحملها والتصورات التي كان يعتمدها خصوصا وأن الثورة الجزائرية بما استتندت إليه من مهام في بلاد إفريقيا السوداء، قد أتاحت له فرصة الإطلاع على تجارب هذه البلدان والاحتكاك المباشر برجالها والمعاينة الصريحة لمشاكلها.

وعلى هذا الأساس يمكن القول دون مبالغة أن كتاب "معذبو الأرض" الذي يعكس فيه تطور الفكر الثوري عند متفاعلا مع هذه الثورة ومع ملابساتها.

---

[1] محمد الميلي: فرانز فانون والثورة الجزائرية، ص 37.

وإذا كان يتعين علينا أن نهتم بفكر فانون، وبشرح المساهمة التي قدمها إلى قضية المسحوقين في الأرض، وإذا كان يجب أن نسجل شجاعة فانون وسخاء روحه واندفاعه في خدمة هذه القضية. فلا يجوز أن ننسى الدور الذي لعبته الثورة الجزائرية في توجيه فانون تلك الوجهة.

لقد جذبت الثورة الجزائرية فانون نحوها وأخرجته بقوة إشعاعها وصمود شعبها ووضوح خطها من الدائرة الفرنسية لتقذف به في قلب الدائرة الجزائرية.

وسط هذه الدائرة تحرر فانون نهائيا من تأثير منطق حقيقة مدار الصراع الدائرة في الجزائر.

وكشفت له رحلته من اليسار الأوربي إلى الثورة الجزائرية، عن حقائق جديدة تتصل بإفريقيا. تلك القارة التي ما انفك يشعر بالحنين إليها. وفي نفس الوقت تكشفت له حقائق أخرى تتصل بالعالم الثالث الذي يشتمل فيما يشمل مسقط رأسه في جزر الأنتيل. لقد فتحت له هجرته هذه لليسار آفاق جديدة على صعيد العالم الثالث، فمضى في رحلته مكتشفا ومصمما على أن لا يرجع أبدا إلى نقطة الانطلاق.

وفي ذات يوم من ربيع 1950 في مكان من باريس كان فانون ينتظر تسجيل مروره ليلتحق نهائيا بالثورة الجزائرية. وكان ذلك آخر عهده بفرنسا ويسارها.[1]

---

[1] محمد الميلي: فرانز فانون والثورة الجزائرية، ص 39.

آراء عن فانون:

قبل وفاته بسنوات قليلة، كتب إدوارد سعيد بحثا أكاديميا حول فانون قال في حقه:"أنه ربما لو بقى حيا، لهاجر إلى فلسطين للاشتراك في الثورة ضد الاحتلال الإسرائيلي"...أما الفيلسوف الفرنسي جان بول سارتر الذي كتب توطئه كتاب فانون: معذبو العارض فقد أهاب بالأوربيين قراءة الكتاب قائلا: "أيها الأوربيين أقرؤوا هذا الكتاب، أدخلوا فيه. فبعد أن تسيروا بضع خطوات في الظلام ستجدون أناسا أجانب قد تحلقوا حولنا النار. اقتربوا منهم، وأصغوا إليهم...لعلكم قائلون لماذا نقرؤه...إن فانون يشرح أمركم لإخوته".

وفي إشادته بدور فانون ومعانقته الثورة الجزائرية. قال عنه إبراز قادة أحمد بن بلة: "لم يكن فانون رفيق في المعركة فحسب، بل كان مرشدا وموجها، لأنه ترك لنا من إنتاجه الفكري والسياسي ما هو ضمانة للثورة الجزائرية"[1]

[1] فرانتز فانون: العام الخامس للثورة الجزائرية، ص 50

موقف ألبير كامو من الكفاح المسلح والثورة:

إن موقف كامو تجاه نضال الشعب الجزائري كان سلبيا، حيث أنه رفض رفضا تاما الاعتراف بتاريخ وشرعية وأصالة الشعب الجزائري، ولقد كانت الثورة الجزائرية قد وضعت كامو في مشكلة عويصة أما شعبه " الأقدام السوداء" خاصة الجالية الأوربية في الجزائر عامة وكذلك أما عدالة "الجزائر فرنسية" وبعد عملية سكيكدة 1955 كتب كامو للحزب الشيوعي الجزائري قائلا: "بأنه يائس من الوضع المتدهور، كامو الذي كان ينتقد الإدارة الفرنسية وتاريخها في الجزائر وعدم اهتمامها بالسكان الأصليين، هاهو الآن ينتقد ويندد بشدة عمليات جبهة التحرير الوطني، حيث يرى بأنه الحل الوحيد لما يسمى بـــ"مشكلة الجزائر" وهو خلق الفيدرالية الجزائرية تضم المسلمين والأوروبيين ويخضعون للقانون الفرنسي".[1]

فلقد دعا كامو إذن دعوة غامضة إلى" ثقافة البحر الأبيض المتوسط" التي يتعايش في ظلها الفرنسي والإيطالي والإسباني و العربي والبربري، ولكن الحدود الجغرافية لهذه الثقافة هي الجزائر.

وكانت المهمة التي عهدت إلى كامو كعضو في الحزب الشيوعي الفرنسي هي أن يعمل في نشر الدعوة بين العرب، الذي كرس نفسه لقضيتهم وعندما اقتضت أسباب تكتيكية بعد ذلك بأشهر قلائل أن يغير الحزب سياسته تجاه العرب، أصيب كامو بصدمة عميقة.

تغيرت سياسة الحزب غير أن كامو لم يتزحزح عن إخلاصه للجزائريين العرب الفقراء الذين يعتبر نفسه واحدا منهم.

لقد كان كامو جزيئا وجسورا حقا في سرده لوقائع الفقر في منطقة القبائل الكبرى، فلقد كتب تحقيقه بأسلوب صريح لا يعرف اللين، ولقد فعل ذلك دون أن يعبأ بما يمكن أن يجلب له ذلك التحقيق من مضايقات، ولعل من ناقلة القول التأكيد أن هذا التحقيق قد انجر عنه ما كان متوقعا وهو النفي، فلقد نفي إثر ذلك إلى باريس من لدن السلطات الحاكمة تحث تأثير غلاة الاستعمار.[2]

---

[1] عبد المجيد عمراني: النخبة الفرنسية المثقفة، ص 74.
[2] محمد يحياتن: مفهوم التمرد عند ألبير كامو وموقفه من الثورة الجزائرية، ديوان المطبوعات الجامعية بالجزائر 1984، ص 94.

كما كتب بضع مقالات حول موضوعات كوصفه المؤثر لإحدى سفن السجناء الجزائريين الذاهبة إلى غويانا الفرنسية، كل ذلك يوحى بعض الشيء بحساسيته المفرطة لآلام الإنسانية في شتى أشكالها، أما تحقيقه عن القبائل فقد كشف عن مدى هذه الحساسية وقوتها.

أخذ كامو ينحرف عن مواقفه السابقة الحاسمة التي اشتهر بها في ظروف غير هذه الظروف، فمنذ انطلاق الإرهاصات الأولى لثورة التحرير والتي كانت تؤذن بأن الأزمة قد بلغت أشدها، ولم يعد ثمة مجال للحوار، ؟؟؟؟؟؟؟ كامو ليقول بكثير من التفاؤل إن الأمر لا يستدعي التهويل واليأس، ويحث في الآن نفسه الجانبين المتحاربين على أن يلتزم بمبدأ عدم إيذاء المدنيين مهما كانت الظروف.

وفي منتصف عام 1955 رجع إلى ميدان الصحافة ورحب جريدة L'express بإنتاجه بينما كانت الثورة الجزائرية في بداية أمرها، كتب مقالا بعنوان " الإرهاب والقمع" جاء فيه إن الإرهاب سواء كان في الجزائر أو في غيرها من البلدان يمكن أن يعلل بفقدان الأمل وهكذا أصبحت تلك الجدران تخنق أنفاس شعب بأسره، شعب ليس له من يدافع عن حقه، ولا زعيم أو ملك يتكلن باسمه.

ومع ذلك كامو بنظرة الثاقب يدرك تماما سبب لجوء الجزائريين للعنف الثوري ولماذا حملوا السلاح، لكنه يعتبر ثورة الجزائر تمردا وعملا إرهابيا لا إنسانيا يقوده شرذمه من الناس يعدهم قطاع طرق غير أنه سرعان ما اكتشف العكس، وعندما ذهب إلى الجزائر بعد مضي بضعة أشهر لإلقاء محاضرة في "نادي الترقي" لم يجد من حل المشكلة سوى المطالبة بضمان "هدنة للمدنيين" فما أبعد هذا النداء عن الحقائق المريرة التي كانت تعيشها البلاد.

وفيما بعد اقترح كامو في مدينة الجزائر نفسها على جماعة من العرب والفرنسيين إجراءات تستهدف تقليص الأخطار التي يتعرض لها السكان الأصليون فقد وقعوا بين حجري رحى قوة الثورة وقوى مناوئيها غير أن اعتدالها لم يكن ليرضى إلا القليلة الضئيلة.

وأشد ما أدهش كامو وحزن حين رأى جمهورا مغضبا يصرخ في وجهه ويفحمه، جمهورا من الجزائريين الذين كانوا يشعرون فيما مضى بأنه يفهمهم غاية الفهم.

وتعرض كامو للمرة الأخيرة للقضية الجزائرية في الوقائع رقم 03 التي صدرت في جوان 1948 وكان الجزائريون لم يفقدوا الأمل تماما في تأييد كامو للثورة الجزائرية، رغم أنه امتنع عن

استنكار أعمال التعذيب، فكامو لم يجد حل للقضية سوى أن يقترح إقامة للحكم في الجزائر يجمع بين حسنات سياسة الإدماج وحسنات النظام الفدرالي.[1]

لم يكن يتصور كامو بأن جبهة التحرير الوطني ستقود الجزائر في يوم ما، ويعود المعمرون والأوروبيون من مواطني الدرجة في الجزائر، ويخضعون لأوامر جبهة التحرير الوطني، على الرغم من أن الطلبة الجزائريين في كل من فرنسا والسويد في حفل تسليمه جائزة نوبل للآداب عام 1957 عن عمر يناهز 43 سنة حاولوا أن يقنعوا كامو بأهداف جبهة التحرير الوطني المتمثلة في الحرية والاستقلال للشعب الجزائري والضمانات التي ستمنح للأوروبيين عامة، فقد رفض كامو هذا الاقتراح وقاطع المناقشة مع الطلبة.[2]

وبهذا نلاحظ أن ألبير كامو لم يكن غريبا عن الجزائر فقط، بل هو كذلك غريب عن منطق "الثورة" ولاسيما عندما يطبقه على الجزائر والجزائريين ولاسيما أن كامو ظل يعارض جهرا كل الثورات التي عرفها التاريخ، بحجة أن الثورة أيا كانت هي عبارة عن تطبيق غير سليم لمفاهيم التمرد الحقيقي. ولهذا نجد كامو لا يفتأ أن يشجع العنف الذي أتسمت به الثورة الجزائرية وأعمال الفدائيين، غير عابث بالظروف التي أجبرته على توخي سبيل العنف.

إن نقد كامو لظاهرة العنف في الثورة الجزائرية لا يؤخذ بعين الاعتبار فالعنف ليس عملا معزولا فهو رد فعل لأوضاع قاسية، تتسم هي الأخرى بالعنف.

نخلص من خلال موقفه إلى أنه لا يقيم للمقاومة والثورة وزنا، إلا إذا كان أمرها حكرا على فرنسا، فكامو همه يقتصر على إيذاء الجالية الفرنسية وربما تفضيله لأمه على العدالة، فهو يفكر بمنطق "الأقدام السوداء" الذين لا يقوون على تصور الجزائر إلا في فرنسية، فكامو إذن لم يدفع بجرأته التي تعهدناها فيه إلى مداها الأقصى في مواقفه السياسية، التي وقفها قبل اندلاع ثورة التحرير.[1]

---

[1] أحمد طالب الإبراهيمي: من تصفية الاستعمار على الثورة الثقافية ترجمة: حنفي بن عيسى الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1972، ص 121.

[2] عبد المجيد عمراني: النخبة الفرنسية والثورة الجزائرية، مرجع سابق، ص 79

[1] د. حفناوي بعلي: ثقافة-مجلة ثقافية شهرية، الأردن العدد 115، 15 كانون الثاني 2005، ص 49.

صورة الجزائر في كتابات ألبير كامو:

بدت الطبيعة الجزائرية والديكورات الواردة في كتابات ألبير كامو منبعا للراحة والتأمل، مثلما هو الحال مع الريف، المدن، المقاهي... كان الفضاء الجزائري بالنسبة لألبير كامو فضاء للراحة قلما يكون فضاء للمواجهة والنزاع، يعبر كامو في كتاباته عن اكتشاف جمالي للبلد ينظر له على أنه جميل وجماله حقيقي ليس لمجرد ديكور حيث يعد ألبير كامو من الفئة القليلة التي ظلت دائما تتغنى بالمناظر الطبيعية الخلابة في بلادنا بسمائها وبحرها وتألق ضيائها فكانت الجزائر بالنسبة لكامو أرض الصيف الذي لا يقهر ومشهده الداخلي الذي تعلق به تعلق المحب ولعل أكثر المدن التي شد جمالها خيال ألبير "تيبازة" الرومانية الأصل والواقعة غربي مدينة الجزائر ذات السهول المزروعة وسلاسل جبال الأطلس، حيت تصل خطوط تلال "شنوة" النقية بين البحر والسماء، وثمة أطلال صامتة تذكر الإنسان بعدم اكتراث إفريقيا مند القدم بالإمبراطوريات الهشة التي أقيمت على تربتها، هناك يعبق الجو بأريج آلاف النباتات المتوسطية، وفي أيام الصيف الطويلة يتوقف الزمان عن سيره، في الربيع تنزل الآلهة في الشمس، يغمرها شذى نباتات ؟؟؟؟؟؟، والبحر في درع من لجين والماء عارية الزرقة، والخرائب تكسوها الورود، والنوم يدوم بين أكوام الحجارة.[(2)]

أما الجزائر العاصمة فيعتبرها جزيرة أوروبية، خضراء وسط صحراء مقفرة، ويعتبر وهران كالجزائر مدينة بلا ماضي لها وهي لا تعرف وسيطا بينها وبين الجمال الساكن المحيط بها، ففي روايته "الطاعون" تعيش وهران سنتها المأساوية مغلقة على نفسها ماديا وأدبيا، إنها مدينة عارية لا شيء جميل فيها، لا خضرة فيها ولا روح.

وعن عنابة يأتي بهذا الوصف وقفة على البحر، وتأملات وقراءات غزيرة وحياة صعبة، وليال جميلة تحت سماء عنابة الصافية وبجوار مقابرها التي تمنح شهية الموت.[1]

---

(2) الأخضر الراوي: صورة مدينة الجزائر في الرواية الجزائرية عند ألبير كامو، منشورات جامعة باتنة، الجزائر 1998، ص 120.

1 د. حفناوي بعلي: مجلة ثقافية شهرية، مرجع سابق، ص 32.

موقف ألبير كامو من الشخصية الجزائرية:

من الملاحظ أن كامو قد سخر جل مؤلفاته لتمجيد جمال الجزائر فحسب ولم يقم وزن كبير للجزائريين، وما يعانونه من إجحاف وضيع من قبل الاستعمار آنذاك.[1] فقد دأب كامو على تصوير حيز أوروبي منظم ونضيف في أحياء الوسط أو في الأحياء الخارجية، وخالي من حيز الأهالي وبذلك تسجل غياب الإنسان الجزائري في مدينة الجزائر في روايات كامو، لعل ذلك ينبع من الجانب الخفي والصوت اللاوعي في أعماق الكاتب وانتمائه.

لا يظهر أن للجزائريين أو ما يسميهم كامو "العرب" أثرا في كتاباته وإذا حدث أن عربيا يمثل دورا من الأدوار في قصصه كما هو الشأن في روايته "الغريب" فإنه لا يتردد في إيراد وقائع غير محتملة.[2] أما في روايته الطاعون فليس هناك أي أثر لجزائري واحد في الصورة الغربية التي رسمها لوهران، فلقد ظل كامو مبهرا بجمال الجزائر وحدها ولم يبال بأهلها وسكانها المر الذي يدفعنا إلى القول بأن لا مبالاة مارسوا بطل الغريب هي لا مبالاة كامو نفسه في علاقته بالسكان والأهالي، ولعل سبب هذه اللامبالاة قصور كامو في تجاوز منظار "الأقدام السوداء" ومهما يكن الأمر فإنه يمكن القول بأن الإنسان الجزائري غائب في أدب كامو لأنه يظهر فيه بدون اسم وبدون وجه إنه يعيش على الهامش.

إن غياب العنصر البشري الجزائري في مؤلفات كامو غياب مبيت في نظرنا لأن وجود العنصر البشري يزعج راحة "الأقدام السوداء" فكامو يوقف حبه على الجزائر كطبيعة خلابة وشمس ساطعة على الدوام ثم يجرد الجزائر من محتواها الإنساني ويضرب صفحا عن سكانها الأصليين.[3]

[1] جرمين بري: ألبير كامو، ترجمة جبرا إبراهيم جبرا، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط 2، 1981، ص 21.
[2] سعد علي: حول الكاموية، مجلة الآداب، بيروت، عدد 12، ديسمبر 1965، ص 65.
[3] د. حفناوي بعلي: مجلة ثقافية شهرية، مرجع سابق، ص 42.

الذين تأثر بهم كامو:

لعل أعمق الجميع أثرا في فكر ألبير كامو أستاذه:

جان غارينييه: الذي أهدى له كامو أول كتبه "الوجه والقفا" وبعد ذلك "التمرد"، كان غارينييه من عشاق الحضارة الإفريقية وقد أهدى كامو بحبه للأدب الإفريقي وللكتاب المأساويين الكبار والفلاسفة.

إن المقالة هي وسيلة غارينييه المفضلة وتأملاته التي يعتمد فيها على ملحوظاته الشخصية للتجارب الداخلية والخارجية فهو لا يأبه بالتجريدات، ويبدو أنه لا يعنى إلا بالتفحص الدقيق لمعطيات التجربة المحسوسة.

لقد وقع ذهن من هذا النوع في نفس التلميذ الشاب وقع لا يقدر، وبتأثير من غارينييه انكب كامو على أطروحة فلسفية فرغ منها بنجاح عام 1939م موضوعا اثر افلوطين في القديس أوغسطين.

كما نجد:

أندريه جيد: فلقد وجد في جماليته وشهوانيته المعلنة عن نفسها ما يضايق الفتى القادم من بلكور في بادئ الأمر غير أنه سرعان ما جعل يستشعر ما في كتابات أندريه جيد من قيم أعمق.

كما وجد إغراء له في أخلاقية:

مونترلان: العدمية وأعجبه أن يقلد فيه أناقته اللا مبالية وقبعته اللبادية وقفازيه الناصعين.[1]

[1] جرمين بري: ألبير كامو، ترجمة جبرا إبراهيم جبرا، مرجع سابق، ص 76.

موقف اليسار الفرنسي من الثورة الجزائرية:

إن فرانسيس جونسون يمثل أكبر منظمة سرية لتقديم المساعدة للمهاجرين الجزائريين في فرنسا عامة، والفدائيين خاصة، وهذه المنظمة ظهرت "كشبكة سرية" تقف إلى جانب الحركة الثورية لجبهة التحرير الوطني في فرنسا، حيت لا يمثل نضالها في التنديد بمختلف المنشورات واللوائح فقط، وهذه "الشبكة السرية" غير الشرعية التي ظهرت في فرنسا في الحقيقة تعتبر شكلا من أشكال التعبير السياسي والتمرد والعصيان على السلطة الحاكمة، والتي قام بتأسيسها فرانسيس جونسون وسميت باسمه، (Réseau Jean son Network Jean son) من قبل الصحافة الفرنسية وعلى متعاونيه غيابيا والإعلان التالي يوضح ذلك: (منذ 1956... فدرالية جبهة التحرير الوطني بفرنسا، لقد رأينا وهي تبحث عن الفرنسيين للمساندة للقضية الجزائرية وذلك للمساهمة المادية بطريقة مباشرة وبسرية عاملة والمساهمة في بعض النشاطات: كالنقل من الحدود الفرنسية بأموال موجهة لمقاتلي جبهة التحرير الوطني، وضمان السكن وحماية المناضلين العاملين فوق التراب الفرنسي، وخلق شبكات تسهل الاتصال بالخارج....إلخ. وعدة شبكات أخرى مؤيدة، وذلك ابتداء من سنة 1957... وأشهر شبكة وأهمها هي التي قام بتنظيمها في نهاية 1957 فرانسيس جونسون).[1]

من الواضح أن الأعمال الأساسية التي تقوم بها الشبكة هي جمع الاشتراكات الأموال والألبسة والأغطية والأدوية من العمال المهاجرين الجزائريين والفرنسيين المؤيدين والمتعاطفين مع الثورة الجزائرية حيت تقوم بتهريب هذه المواد إلى الدول الأوروبية المجاورة لمساعدة اللاجئين المتشردين إذ يقول جونسون: (من خدمات فدرالية فرنسا التابعة لجبهة التحرير الوطني: في البداية كان الناس ينتمون إلى نفس الوسط الذي كنت أشتغل فيه لأنني أنا الذي بدأت في تشكيل أول خلية للمساعدة، ونحن نعلم كل العلم مثلا أن هناك عملا لتوظيف وجلب في وسط الممثلين في وقت لاحق من أجل الحصول على حق الإقامة في فرنسا... وقد كان هناك وقت أين كنت لا أستطيع النوم ليلتان متتاليتان في مكان واحد وأتذكر أنني كنت أنام مع أفراد مختلفين عن بعضهم البعض...).[2]

كما تقوم هذه "الشبكة السرية" أيضا بتقديم العون لتهريب الفدائيين من فرنسا وتسليحهم حسب تصريح جونسون الذي يؤكد قائلا: (نعم فالأسلحة الممولة قد تكون مصوبة لطعن الجيش الفرنسي من

---

[1] Ibid، عبد المجيد عمراني: النخبة الفرنسية المثقفة والثورة الجزائرية، ص 86.
[2] Ibid، عبد المجيد عمراني: نفس المرجع، ص 87

الخلف) ربما جونسون كان على صواب، لأن طريقة الفدائيين في المواجهة قد أدهشت الجيش الفرنسي في المدن الجزائرية بإطلاق الرصاص عليهم من الخلف، ومع ذلك فجونسون ناضل وقاوم لمدة ثلاث سنوات إلى جانب جبهة التحرير الوطني بحركته السرية والتي تعتبر القاعدة الأساسية للنشاطات السياسية السرية أثناء الثورة التحريرية بدون مقابل مادي أو تدعيم معنوي، أو تشجيع من قيادة جبهة التحرير. وفي سنة واحدة استطاع جونسون أن يهرب من فرنسا عشرة ملايين فرنك فرنسي مع ستة من الجزائريين إلى البنوك السويسرية.

حيت قال عنه روبار أستون (robert Stone) أحد الفلاسفة الأمريكيين وأحد المتهمين بالفلسفة الوجودية والفينومينولوجية (الظاهرية): كيف نستطيع المحافظة على الغموض بين مصداقية الفرد وثورته التحريرية والتي كانت عبارة عن نظريات وأصبحت آلة للتطبيق عند جونسون وأعظم جهده الذي كان جدير بالملاحظة لا يتصل في أعماله الفلسفية ولا في أدواره... بل في سياسته العملية أثناء حرب الجزائر 1954–1962.[1]

وعلى الرغم من أن "الشبكة السرية" كانت منظمة ومباشرة لمشروع سياسي مثالي وجدي إلا أنها تعطي تفسيرات معنوية لأعمالها المستقلة للتحليلات الاجتماعية والسياسية التي تسهم في نجاحها. ويرى جونسون ومساندون بأن الجهد الأول والأساسي الذي يجب تحقيقه هو المحافظة على استمرار صداقة فرانكو الجزائرية" والجهد الثاني والذي نأمله مستقبلا هو "أن تنقذ شرف فرنسا، وأعظم تقاليدها الثمينة".[2]

حقيقة أن جونسون وأنصاره هنا يؤكدون بأن وطنيتهم واقتناعهم جعلهم يعملون في الاتجاه الصحيح لصالح الشعب الفرنسي لتحقيق أمنيته حيت كتب يقول:

إيمانا القوي بأن أفعالنا كانت عادلة لا تنتمي، ونتمنى أن تقنع الأغلبية من مواطنينا بذلك الإيمان. لكن نحن لا نحس بجوهر آخر غيرهم، وإذا كانت رد أفعالنا إليهم وحشية أحيانا، ومع ذلك سيبقون إخوة وجميعنا سنتغلب على فرنسا. بل نطالب بإلحاح بإمكانية كوننا فرنسيين حقيقيين. وعلى هذا الأساس نشرع في العمل.

[1] Francis jean son، عبد المجيد عمراني: النخبة الفرنسية المثقفة والثورة الجزائرية، ص 87.
[2] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

لقد كان جونسون وأنصاره يعتقدون بأن مساندة ومساعدة جبهة التحرير الوطني يعتبر من مهمة اليسار الفرنسي لأن وحدتهم العملية والفعلية مشتركة، يضاف إلى ذلك عدوهم صار ماثلا في الاستعمار والامبريالية.[1]

ولا غرابة في ذالك أن الجيش الفرنسي و"الأقدام السود" والعملاء الجزائريين مع الاستعمار الفرنسي يحاربون محاربة جماعية أهداف جبهة التحرير الوطني وحركاتهم النضالية في الجزائر، حيت يقومون بقتل الأبرياء دون تمييز، وذلك مماثل لنظام القوات الفاشية الموجودة في فرنسا، وفعلا وفي شكل الاستعمار فجونسون يرى بأن النظام الرأسمالي يستغل الطبقة العاملة الفرنسية. كما يستغل الشعب الجزائري. وعلى هذا الأساس فهو يعتقد بأن أهداف جبهة التحرير واليسار الفرنسي مشتركة في النضال والعمل من أجل تحقيق الوحدة والحرية والعدالة الاجتماعية. إذ يبدو لنا بأن المؤرخ المعاصر الأمريكي بول كلاي صوريم (Paul Clay Sorum) كان على صدق عندما قال اليسار الفرنسي مستمر مع الطريقة البوية. ومع ذلك يمكن القول بأن الوضع الاجتماعي والاقتصادي والسياسي للجزائر هو الذي يجعلها تقوم بإصلاحات جذرية وتغيرات تتماشى مع وضعها الاجتماعي والسياسي وعلى هذا الأساس فنصيبها يفرض على الجزائر أن تتبنى الاشتراكية عند استرجاع سيادتها الوطنية.

حقيقة لقد تعقدت الأمور على الحكومة الفرنسية وأصبحت فرنسا تواجه حربين حرب في الجزائر وحرب أخرى في فرنسا الذي استطاعت جماعة من الفدائيين التابعين لجبهة التحرير الوطني تفجيره داخل فرنسا، والقيام ببعض العمليات الفدائية في المدن الفرنسية الكبرى وهذه العمليات الناجحة تكتيكيا وسيكولوجيا أصبحت تهدد المجتمع الفرنسي إلى جانب هذا اكتشفت الحكومة الفرنسية "الشبكة السرية" لجونسون، وقامت بإلقاء القبض على معظم أعضاءها في فيفري 1960 دون مؤسسها وقائدها جونسون مما يسمح باستمرارية نشاطاتها كحركة سرية لمساندة الثورة الجزائرية. وفي 05 سبتمبر 1960 بدأت السلطات الفرنسية بمحاكمة أعضاء "الشبكة السرية" لجونسون أي 19 فرنسيا (رجالا ونساء) ستة جزائريين متهمين بحمل الذخيرة والوثائق لجبهة التحرير الوطني، وكذلك المتعاونين في إخفاء الجزائريين وتهريبهم من الشرطة الفرنسية، أربعة متهمين منهم ناطقها الرسمي جونسون نفذت أحكام عليهم غيابيا، والمتهمون كانوا متهمين بعدة قضايا المتمثلة بتدعيم ومساندة جبهة التحرير الوطني إلا أن المحكمة العسكرية لم تثبت عليهم أي هجوم أو تخريب ضد الممتلكات الخاصة أو العمومية.

[1] Francis jean son، عبد المجيد عمراني: النخبة الفرنسية المثقفة والثورة الجزائرية ، ص 88.

وهذه المحاكمة دامت حوالي شهر، ومن بين المحامين الذين دافعوا عن هذه "الشبكة السرية" لجونسون الأستاذ جاك فيرجيس (Jaques verses) المحامي الأساسي اليساري والمتعاطف مع المستغلين والمحامي الثاني وهو رولان دوماس (Ronald Dumas)، حقيقة أن محاكمة "الشبكة السرية" تحولت إلى عملية سياسية بالنسبة للمثقفين الفرنسيين كما جاء في رسالة جون بول سارتر للمحكمة: "فالتضامن مع الجزائريين المقاتلين لم يأت إملاء على هذه "الشبكة السرية" في مبادئ سامية أو في إرادة عامة لمحاربة الظلم والطغيان أينما كان، فهو ينبثق من التحليل السياسي للوضعية في فرنسا نفسها.[1]

[1] Francis jean son، عبد المجيد عمراني: النخبة الفرنسية المثقفة والثورة الجزائرية ،ص 89

موقف جون بول سارتر:

إن جون بول سارتر يمثل بدون منازع أكبر مفكر فرنسي مضاد للاستعمار الفرنسي وليس معنى هذا أننا نستخف بمساهمة زميله في مجلة "فرانسيس جونسون الذي كان أساسا إخباريا وميدانيا، ومساهمة أندري ماندوز الذي اعتنى برفع صوت الثورة الجزائرية بقوة المطبوعات الفرنسية، كما لا ننسى تلك المجموعة من الرجال والنساء التي ما فتئت تدافع عن حرية الجزائر باسم قيم الإنسانية الوطنية الفرنسية المناهضة للاستعمار التي تتأصل في الصورة المركزية والمخفاة لبول فيني دوكتون، ذلك المؤلف العظيم مند بداية القرن العشرين لكتابي "مجد السيف" و "عرق البرنس" وقد تسلط على هاذين الكتابين إبعاد غير مقبول في بلد حرية التعبير وإجلال الذاكرة.[1]

بدأ سارتر بفكر في تحديد موقفه من الثورة الجزائرية، حيث كان يراها في البداية على أنها "مشكلة اقتصادية" ويجب توفير الخبز لتسعة ملايين نسمة وتقييمه للوضع يرد في العبارة التالية: الشيء الوحيد الذي يمكننا ويجب علينا محاولته – هو يوم الهم- من اجل النضال بجانبه لكي ننقد كلا من الجزائريين والفرنسيين من طغيان الاستعمار.

وعندما بدأ معظم المفكرين الفرنسيين يكتبون عن الثورة الجزائرية ويبنون نتائجها وأبعادها السياسية وطرق التعذيب التي تمارس الوحشية والهمجية العسكرية الفرنسية على الجزائريين في المحتشدات المملوءة بالمواطنين الأبرياء، كتب سارتر مقاله الأول في مجلة "الأزمنة الحديثة" 1956 بعنوان "الاستعمار هو النظام"[2] (Le colonialisme est un systeme) ونادي بالاعتراف بالجزائر كدولة والدخول في مفاوضات مع جبهة التحرير الوطني الممثل الشرعي للشعب الجزائري، وفعلا فقد حقق سارتر في صلب الموضوع أو المشكلة وأدرك بأن البعد السياسي والاقتصادي كان مخططا من قبل الإدارة الفرنسية.

وتدريجيا لاحظ سارتر بأن المشكلة ليست اقتصادية أو سياسية فقط بل تطورت وأصبحت استغلالية ووحشية حيث طبق الجيش الفرنسي طرق وأساليب التعذيب على الشعب الجزائري وعلى الرغم من أن التعذيب محرما في الأديان السماوية وممنوعا في جميع القوانين الوضعية ويذهب معظم

---

[1] جان بول سارتر: ت. فاطمة بلجراد، ث، محمد معراجي، مواقف مناهضة الاستعمار، دون ط، رويبة، الجزائر، المؤسسة الوطنية للنشر والإشهار، 2007، ص 03.

[2] Sartre، عبد المجيد عمراني، النخبة الفرنسية المثقفة والثورة الجزائرية، ص 102.

المفكرين في تعريفاتهم بأن التعذيب هو الفعل الذي يسبب للإنسان الشعور بالألم القاسي والذي يقوم بالعمل الوحشي إلا إنساني كعقوبة الخ.... ولكنه يطبق بانتظام خلف ستار المشروعية الديمقراطية، يمكن تعريفه بأنه مؤسسة نصف سرية، فهل أسبابه واحدة في كل مكان؟

وفعلا في مقدمة كتابه "الاستجواب" (La question 1958) لهنري آلاق كتب سارتر عن التعذيب بعنوان (Une victoire) الانتصار حيث أدرك بأن الضحية التي تقاوم طرق التعذيب بنجاح هنري آلاق – اليهودي الأصل والعضو في الحزب الشيوعي الجزائري ومحرر جريدة (Alger républicain) 1950–1955 والذي ألقي عليه القبض من قبل جلادي الجنرال جاك ماسو في جوان 1957، ويجب على الضحية التي تقاوم بشدة أن تبين إرادتها وشجاعتها فوق ذلك الذي يسمى بالإنسانية، أي بمعنى آخر ينبه المعذبين ويشجعهم لمقاومة أساليب التعذيب والاستحقاق المفروضة عليهم من قبل الاستعمار الفرنسي الذي كان كان يعذب من قبل قاسطابو (Gestapo) أثناء الحرب العالمية حيث يؤكد سارتر ويقول: "أما في التعذيب هذه المباراة الغريبة فإنما يقيس الجلاد نفسه بالضحية من أجل صفة الإنسان، وكل شيء يحدث كما لو أنهما لا ينتميان معا إلى الجنس البشري..... يجب على خيانتهما أو تحطمهما وتخلص المجتمع منها إلى الأبد وأن من يستسلم للاستجواب لم يكن يراد فقد قسره على الكلام وإنما هو قد دفع إلى الأبد بصفة موته، أقل من إنسان".[1]

يبدو لي أن سارتر تجاهل تعذيب الجزائريين الذين قاوموا مختلف أساليب وطرق التعذيب وعانوا من كثرة التشريد مند نوفمبر 1954، وتدريجيا أصبح سارتر يمثل أغلبية المثقفين الأجانب، يعي ويدرك حقيقة التعذيب في الجزائر، وهذا عندما قامت (Gestapo) الجنرال ماسو بتعذيب هنري آلاق.

وهنا يمكن القول بأن سارتر لم يتفهم ولم يسمع عن وضعية التعذيب في الجزائر أو يعلن عنها بين بقية المثقفين الفرنسيين وعلى هذا الأساس لا يمكن أن نوجه انتقاداتنا لموقف سارتر نحو تجاهله لطرق التعذيب المفروضة على الجزائريين لأنه لم يشاهد الضحايا، لكن كمثقف يجب أن يلتزم ويقبل هذه (المسؤولية الاجتماعية التاريخية) التي جعلته يوضح قائلا: (إنهم يعتقلون هنا، وهناك بالمصادفة كل مسلم "قابل للاستجواب" طوعا: إلا إذا قدموا شهادة كاذبة أو اتهموا أنفسهم مجانا بجريمة ما تخلصنا من العذاب، أما أولائك الذين يستطيعون أن يتكلموا، فمن المعلوم أنهم يصمتون كلهم أو جلهم، فلا

[1] ، عبد المجيد عمراني، النخبة الفرنسية المثقفة والثورة الجزائرية، ص 104.

"أودين" ولا "ألينغ" ولا "غاردج" قد فتحوا أفواههم، ولا شك أن جلادي "الأبيار" أوسع معرفة هنا في هذا الصدد).[1]

فعلا إن أبشع أنواع طرق التعذيب التي فرضت على الجزائريين أثناء الثورة التحريرية أصبحت كملحة تاريخية مر بها الشعب الجزائري (ومن المفروض أن يكون هناك انتقام عاجلا أو آجلا) لأن الحكومة الفرنسية كانت تعلم علم اليقين هذه الطرق الإنسانية والبشعة والقذرة، ولا يمكن للإنسان العادي أو الضعيف أن يستوعبها أو يسمع عنها حيث تدعي هذه السلطة السياسية بأنها منفصلة تماما عن القوات العسكرية ولهذا فهي ليست مسؤولة عن هذه الجرائم البشرية وعلى الرغم من أن الأدلة التي قدمها أحد الضباط العسكريين قودارد (Godard) عند محاكمته في المحكمة العسكرية بتهمة التمرد والعصيان على سيادة الدولة والانضمام إلى المنضمة العسكرية السرية (OAS) حيث اعترف محاميه وقال: "أصرح بشرفي أن قودارد مثل المئات الآخرين من الضباط يتلقى أوامر من السلطات العليا الفرنسية للتعذيب لكي يتحصل على المعلومات وأنا لا أعرف ما هي المصالح العليا في السلطة التي تعطي الأوامر في هذا الشأن، ولا نستطيع أن نجد لها أثرا".

لقد أهتم سارتر بتحول الثورة الجزائرية لأنه يرى بأن المثقف الواعي يجب أن يقبل "المسؤولية الاجتماعية" لا كمثل عامة المواطنين فقط كفرد له مميزات خاصة وفرصة ثمينة، وعبقرية فذة كي تجعله يؤثر على عامة الناس، والمثقف يجب عليه أيضا أن يلتزم بمبادئه ومواقفه لكي يدافع عن الإنسان كمفهوم اجتماعي، وهذا المفهوم الذي يكون فيه الموجودون مثقفون باهتمام، يمكن القول بأن هذا هو الذي جعل سارتر يهتم ويلتزم شخصيا بالثورة الجزائرية في نهاية الخمسينيات وبداية الستينيات حيث صدق عندما قال: (يختار الإنسان موقفا وأن يظل مخلصا لهذا الموقف الذي يختاره... وهذا ما أفعله دائما).[2]

ومن هنا نستطيع أن نقول بأن سارتر التزم بمبادئه ومواقفه التي أعلن عنها قبل الحرب العالمية الثانية وبعدها في مؤلفاته الأدبية والفلسفية والسياسية عامة وأثناء الثورة الجزائرية خاصة والتي قامت ضد الظلم والطغيان والعبودية.

---

[1] Sartre، عبد المجيد عمراني، النخبة الفرنسية المثقفة والثورة الجزائرية، ص 105.
[2] Sartre، عبد المجيد عمراني، النخبة الفرنسية المثقفة والثورة الجزائرية، ص 107.

نستنتج من خلال ما تقدم أي من المواقف الأساسية للمفكرين الفرنسيين تجاه الثورة الجزائرية الفتية بأن ألبير كامو كان يؤيد وجود "الأقدام السوداء" والمعمرين في الجزائر، وسياسة "الجزائر الفرنسية" ويتأسف عن ضعف السلطة الفرنسية أمام الحركة الثورية للشعب الجزائري ويؤيد فكرة أو قرار سياسي يحمي الوجود الفرنسي في الجزائر ويحافظ على استمرار يته، بينما فرانسيس جونسون وفانتس فانون لم يؤيدا الثورة فقط بل شارك مشاركة فعلية إلى جانب نضال الشعب الجزائري، أما سارتر فقد اهتم في البداية بكتاباته السياسية والتنديد بالأعمال الوحشية ضد الشعب الجزائري.

حين نتعرض لموقف المثقفين الفرنسيين من حدث نوفمبر 1957 فإنه لا يجب أن ننسى أننا لا نتحدث فقط عن شريحة اجتماعية هامة ومؤثرة، مثل أي شريحة ثقافية أخرى.[1]

إن مونتسيكو الذي يعد من أبرز المنظرين للثورة الفرنسية حينما يعترف في كتابه المعروف "روح القوانين" بأن الهدف من المستعمرات هو التجارة في ظروف أفضل (مع البلدان المستعمرة) مع تلك التي تجري بصورة متكافئة مع الدول المجاورة، لا يفعل سوى تأكيد تلك الحقيقة حول الثورة.

وكذلك فعل "أ" توكفيل، ذلك الرمز الفكري ... الآخر لتلك الثورة، الذي لم يمنعه إعجابه الثورة الأمريكية والنظام الديمقراطي البريطاني اللذين عايشهما عن قرب من تبني نفس المنظور الذي تبناه معاصره مونشكيو.

إن "توكفيل" حينما يتظاهر بالتساؤل: (هل السيطرة التي تفرضها فرنسا على أيالة الجزائر – مفيدة)...؟!

إنه لم ينظر لتلك الفائدة من منظور الشعب الجزائري، بل من منظور فرنسا التي يعلم جيدا، أنها ما كانت لتقدم على مثل ذلك الاستعمار لو لم تجد فيه مثل تلك الفائدة.

كما أن نفس الموقف وقفه كل من جان جاك روسو وفولتير ولامارتين وغيرهم من أدباء وفلاسفة النوار.... الذين عرفتهم فرنسا الثورة مند القرن الماضي وذلك انطلاقا من نزعتهم المركزية الأوروبية ومن تلك المفاهيم الأثينية العنصرية المترتبة عنها ... والتي تمثلت من بين ما تمثلت في "البدائي الطبي" و "التركي الهمجي"[2]

[1] البخاري حمانة، فلسفة الثورة الجزائرية، ط الأولى، وهران، دار المغرب العربي للنشر والتوزيع، 2005، ص 120.
[2] المرجع نفسه، ص 122.

من مثل هذه اللغة البسيطة في ألفاظها الخطيرة في معانيها، تغذى الأدب الكولوني، واستلهم نزواته وخرافات أندري جيد ومن مثلهم كذلك تغذت الفكرة الاستعمارية الفرنسية الحديثة التي يعد كل من "ف. غارنييه" و "جون دوفال" و "تيد سان سيمون" ... وغيرهم من بعض نماذجها، وتحولت إلى عقيدة لن تزيد فرنسا ... "الثورة" في النهاية إلا تورطا في الاستعمار.[1]

وبالرغم من محدودية الأثر العلمي لمثل هذه القلة القليلة المثقفة ؟؟؟ للاستعمار ، فإنها قد دفعت مع ذلك رموزه إلى مراجعة وسائله لا مبادئه، وإلى البحث عن غطاءات وعن تبريرات جديدة باسم "الحرية" والخطر الشيوعي والإسلامي ضد العالم الحر.

إن ذلك يعني أنه كان يجب انتظار ما يقرب من السنة من ضغوط حرب التحرير التي كان الشعب الجزائري قد شرع فيها دون توقف منذ نوفمبر 1945، لكي تبدأ تلك الرموز الاستعمارية الفرنسية الرسمية "ف. ميتران"، و "ريمون كارتييه"ن وغير الرسمية "شارل بيغي" و "لوي بيرتران" في التسليم بتلك القناعة المؤلمة وبتلك الجرعة المرة من الحقيقة... على حد تعبير "رأردن" جول كل من الاستعمار ومن مطلب الشعب الجزائري للتحرر منه.

تحت مثل هذه الظروف رفعت تلك الرموز شعارات تطوير الاستعمار إلى تعاون...، وإلى تجمعات سياسية إفريقية فرنسية.

وتحتها كذلك رفعت نفس تلك الرموز من قبل ذلك شعار " الرحيل للتمكن من البقاء بصورة أفضل "ف. ميتران"[2]

تبقى بعد ذلك مواقف متذبذبة لمثقفين فرنسيين آخرين معروفين، وذلك للأمن أمثال: "لوي ماسينيون" الذي أنهى حياته ممزقا بين ارتباطه بعظمة فرنسا الاستعمارية وبين تعاطفه مع شيوعية الكفاح الذي يقوده الشعب الجزائري ضدها من أجل حريته.[3]

وذلك هو بصورة مختصرة موقف المثقفين اليساريين من نوفمبر، وهي الصورة التي يجب أن نلاحظ أننا قدمناها في الشكل الذي أصبح، وتحت مفعول ذلك الحدث الثوري لها مند1960.

---

[1] البخاري حمانة، فلسفة الثورة الجزائرية،، ص 123.
[2] البخاري حمانة، فلسفة الثورة الجزائرية،، ص 123.
[3] البخاري حمانة، فلسفة الثورة الجزائرية، 2005، ص 124.

كما سنحاول دراسة مواقف المستوطنين الأوروبيين الذين يمثلون الجناح اليساري، وذلك من خلال جرائمهم الصادرة في الجزائر، علما بأن هذه الفئة تمثل الذين ينددون بالاستغلال والاضطهاد كأعمال لا إنسانية ولكنهم يعارضون كل من شأنه أن يؤدي إلى فصل الجزائر عن فرنسا، مستعملين تارة الأفكار الماركسية التي تدعوا إلى محاربة النزعة الوطنية الإقليمية الضيقة ومتذرعين تارة أخرى بضرورة صيانة الإنجازات الحقيقية التي حققتها فرنسا خلال ليل الاستعمار الطويل، وذلك لغير الشيوعيين طبعا، وبالنسبة لهم فإن الفاتح من نوفمبر 1954 محاولة أخرى من عشرات المحاولات التي قام بها أبناء الشعب الجزائري في أزمات وجهات مختلفة قصد الخلاص من السيطرة الأجنبية.[1]

وأهم الجرائم التي عبرت عن موقفهم بوضوح ألجي ريبو بلكان والحرية والعامل الجزائري والأولى كتبت بتاريخ 02 نوفمبر عنوانا ضخما على الصفحة الأولى "اعتداءات خلال الجزائر أمس" مع العلم أن كلمة اعتداء هذه تعرفها القواميس الفرنسية بأنها تصرفات إجرامية أي يعاقب عليها القانون.[2]

أما حال الدين النصراني في الجزائر والذين ينتمون بدورهم إلى موقف اليسار فقد كان موقفهم يماثل ما سبق ذكره حيث يؤكدون على أن أحد شروط المسلم هي العدالة الاجتماعية، ومكافحة البؤس والفقر وضرورة رفع مستوى المعيشة.[3]

وعلى هذا الأساس نستطيع القول بأن النخبة الفرنسية المثقفة عرفت عدة مواقف واتجاهات على مختلف مشاربها اليسارية واليمينية على الخصوص من القضايا الإنسانية العالمية خاصة منها التي تهم الرأي العام الفرنسي وبروز بذلك عدة مفكرين، جون بول سارتر وفرانتس فانون وألبير كامو، هذين الأخيرين الذين هم محل دراستنا التطبيقية.

ونجد أن الجزائر لم تنكر أبدا نضال بعض المثقفين اليساريين الفرنسيين الذين ساهموا بإمكاناتهم المتواضعة والفعالة لتحقيق السلام في الجزائر.

---

[1] العربي الزبيري: حسينة حماميد، المستوطنون الأوروبيون والثورة الجزائرية، ط الأولى، بني مسوس الجزائر، متيجة للطباعة، 2007، ص 117

[2] Alger républicain، مرجع نفسه ص نفسها.

[3] Alger républicain، مرجع نفسه ص 118

الفصل الثاني

في العنف:

إن العنف يلعب دورا بالغ الأهمية في تحرير المستعمر، لأن العالم الكولونيالي بني أساسا على العنف وليس ثمرة تفاهم وذلك يقول فانون: "إن محور الاستعمار هو حدث عنيف دائما، إنه إحلال نوع إنساني في مكان نوع إنساني أخر، بمعنى آخر إنه تغيير نظام العالم، إنه نزال بين قوتين متضاربتين تحت شعار العنف، ولا يمكن أن يكون محور الاستعمار دون أن يلاحظه أحد فهو لا يتم إلا بعد قتال حاسم مميت يخوضه الطرفان المتنازعان".

عن العالم الاستعماري مقسم إلى قسمين، مدن الأوروبيين ومدن للسكان الأصليين، أما الأولى فيسودها النظام الرأسمالي، وهي مدينة صلبة أنوارها ساطعة، أما الثانية فهي إما قرية أو بلدة الأهالي، فهو حي سيئ السمعة ويقطنون في أكواخ وصناديق القمامات مرتمية في الشوارع، فهي مدينة جائعة إلى الخبز، فهم يحلمون أن يناموا على فراش دافئ ومدينة السكان الأصليين يسودها النظام الاشتراكي.[1]

إن المستعمر هو سبب العنف، وهو خالقه، وكل عنف يصدر عن أهل البلاد ومن حركتهم الثورية مهما بلغت شدته هو رد فعل على العنف الأصلي، فالمستعمر بهذا المعنى هو الشر المطلق، إنه عنصر متلف يحطم كل ما يقاربه، عنصر مخرب يشوه كل ما له صلة بالجمال والأخلاق، إنه مستودع قوى شيطانية، إنه أداة لقوى عمياء، أداة لا وعي لها ول سبيل إلى إصلاحها.

وهذا ماسيو ماير يقول جاد في: "الجمعية الوطنية الفرنسية": إن علينا أن لا نلوث الجمهورية بإدخال الشعب الجزائري إليها، ذلك أن القيم تتسم وتفسد على نحو لا يمكن إصلاحه متى جعلناها تحتك بالشعب المستعمر، إن عادات الشعب المستعمر وتقاليده وخرافاته، خاصة خرافاته، هي بعينها علامة هذا الانحطاط وهذا الفساد القائم في تكوينه ذاته.

ولذلك يجب أن نضع على مستوى واحد مبيدات الحشرات التي تنقل الأمراض، والديانة المسيحية التي تحارب الهرطقات والغرائز والشر في مهدها، إن التقدم في القضاء على الحمى الصفراء والتقدم في نشر دين الإنجيل متشابهان، ولكن البلاغات المظفرة التي تنشرها الإرساليات

---

[1] فرانس فانون: معذبو الأرض،أنظر ص 4.

التبشيرية تحلنا على أن خمائر الضياع المنبثقة في جسم الشعب المستعمر هي على جانب كبير من القوة.

وحديثي هنا على الديانة المسيحية، ولا حق لأحد أن يدهش من ذلك، إن الكنيسة في المستعمرات كنيسة بيض، كنيسة أجانب.

إنها لا تدعو الإنسان المستعمر إلى طريق الله وإنما تدعوه على طريق الإنسان الأبيض، إلى طريق السيد المتسلط، إلى طريق المضطهد الغاشم.[1]

إن اللغة التي يتعلمها المستعمر عن المستعمر تجد أنها اللغة المستعملة في وصف الحيوانات، قطعان الأهالي، تفريغ السكان، أنهم بذلك يحتقرونهم وكأنهم حيوانات لا قيمة لهم.

إن المستعمر حينما يسمع خطابا عن الثقافة الغربية نجده يتلمس خنجره، ليتأكد من وجوده، ذلك أن العنف الذي كفل تفوق على قيم البيض يجعل المستعمر يسخر حين يتحدث أحد أمامه عن هذه القيم، إن المستعمر لا يتوقف أثناء فترة الاستعمار عن عمله في إنهاك المستعمر وتحطيمه إلا إذا اعترف له هذا بتفوق قيم البيض اعترافا صريحا واضحا.[2]

عن بعض المثقفين قد قاموا أثناء فترة الاستعمار بحوار مع برجوازية البلاد الاستعمارية يرون أن الشخصيات القليلة التي أتيح للبرجوازيين الاستعماريين أن يعرفونها من أهل البلاد لم تؤثر تأثيرا كافيا في تلك النظرة المباشرة لتحملهم على تعديلها، أما في فترة التحرر من الاستعمار فإن البرجوازية الاستعمارية تسعى في كثير من الحماسة المحمومة إلى عقد صلات بالنخبة المثقفة، إن البرجوازية الاستعمارية حين تدرك عجزها عن الاستمرار في السيطرة على البلاد المستعمرة تقرر أن تخوض معركة في ميدان القيم، ولكن الأمر الذي لا يجب أن يغيب عن البال هو أن السواد الأعظم من الشعوب المستعمرة لا يمكن أن تنفذ إليه هذه المشكلات، فالقيمة الأساسية عند الشعب المستعمر إنما هي الأرض، والتي تكفل الكرامة إن الأخلاقية عند المستعمر هي أن يتخلص من غطرسة المستعمر هي أن يطرده من الميدان طردا كاملا.

---

[1] فرانس فانون: معذبو الأرض، أنظر ص 8.
[2] المصدر نفسه، انظر، ص 9.

إن المثقف الذي تبع الاستعمار على مستوى العموميات المجردة يريد أن يعيش المستعمر في سلام في عالم جديد، إن المستعمر لا يهمه البقاء ولا التعايش السلمي متى زال الوضع الاستعماري.[1]

ليس صدفة أن الأقلية الأوروبية التي تسمى "لبرالية" قد أعلنت رأيها حتى قبل أن تبدأ المفاوضات بين الحكومة الجزائرية والحكومة الفرنسية، فقالت أنها تطالب بأن تكون لها جنسيتان.

يكتشف المستعمر أن حياته وتنفسه وخفقات قلبه لا يختلف عن حياة المستعمر وعن تنفسه وعن ضربات قلبه، ويحدث هذا الاكتشاف هزة أساسية في العالم، إن كل ما يحس به المستعمر من ثقة جديدة نورية إنما ينبع من هذا: إذا كان لحياتي من قيمة مثل ما لحياة المستعمر لن تخيفني بعد اليوم نظراته ... لن يربكني وجوده.

إذن المستعمر يسترد ثقته بنفسه بصفته إنسان يملك قيمة إنسانية مثله مثل غيره، فلن يتخوف بعد اليوم من المستعمر.[2]

إن الوضع الاستعماري يتميز بأنه يفرض على العالم انقساما ثنائيا، والتحرر من الاستعمار يوحد هذا العالم، إنكم تعرفون تلك الكلمة القوية التي قالها الوطنيون السنغاليون مشيرين إلى مناورات رئيسهم سنغور: "لقد طلبنا أن تصبح الوظائف للإفريقيين وها هو سنغور يجعل الأوروبيين إفريقيين"، معنى هذا أن المستعمر يدرك أن هذه التذرعات إن هي إلا مناورات تخريبية وليس نادرا أن تسمع من يقول هنا وهناك: "ما فائدة الاستغلال إذن". ومعنى هذا أن المناطق المستعمرة مقسمة إلى قسمين، نجد المستعمر وكذلك المستعمر والتخلص من الاستعمار يعني توحيد العالم.[3]

أما المثقفون من أبناء المستعمرات فقد صب فانون جام غضبه عليهم منذ البداية وحتى النهاية، فالمستعمر قد خرب عقولهم حشودهم بالثقافة الغربية والروح الفردية يقول فانون: "والفردية تأتي في طبيعة هذه القيم، لقد أخذ المثقف المستعمر عن أساتذته أن على الفرد أن يؤكد ذاته، لقد غرست البرجوازية الاستعمارية في ذهن المستعمر أن المجتمع مؤلف من أفراد لكل منهم ذاتيته الخاصة، وأن الغنى هو غنى الفكر".[4]

---

[1] فرانس فانون: معذبو الأرض، أنظر ص 11.
[2] المصدر نفسه، انظر ص 12.
[3] المصدر نفسه، انظر ص 12.
[4] المصدر نفسه، انظر ص13.

ولا منجى للمثقف المستعمر من هذا العالم الغربي إلا بالتحاقه بشعبه يتابع فانون: "إن كلمات الأخ والأخت الرفيق كلمات نبذتها البرجوازية الاستعمارية، فالأخ عندها هو محفظة النقود، والرفيق عندها هو الصفقة الرابحة، وهكذا يشهد المثقف المستعمر فناء جميع أصنافه احتراقا بالنار: الأنانية والافتقاد المتكبر، والغباء الغر الذي يحمل صاحبه على أن يريد أن يكون له القول الفصل، وسيكتشف هذا المثقف المستعمر الذي خربته الثقافة الاستعمارية، سيكتشف أيضا أن للمجالس التي تشكل في القوى قوة كبيرة وأن اللجان التي تتألف من أفراد الشعب متانة هائلة، وأن للاجتماعات التي تعقد للحي أو للخلية خصوبة ما بعدها خصوبة، فقضية كل فرد من الأفراد لن تكون عندئذ إلا قضية جميع الأفراد لأنهم إما أن يكتشفهم جنود الاستعمار جميعا فيقتلوهم جميعا، وإما أن ينجوا جميعا، إن "نجاة الفرد بنفسه"، وهو شكل من أشكال السلامة هي في الميدان أمر مرفوض".[1]

ويحدث أن لا يتوفر الوقت الكافي للمثقف كي يتطهر بنار الشعب لأن الاستعمار زال بسرعة من مناطق لم يهزها الكفاح المسلح هزا كافيا، وهنا تحدث الكارثة، يقول فانون في وصف ما يفعله المثقفون في تلك الأوضاع: "لقد كانوا للمستعمر أبناءه المدللين، وهم للسلطة أبناؤها المدللون أيضا، ينهبون الموارد الوطنية نهبا، ويندفعون إلى الإثراء بالصفقات المشبوهة والسرقات "القانونية" اندفاعا لا يعرف الرحمة عن طريق الاستيراد والتصدير والشركات المغفلة..."[2].

كما أنهم فاقدو الثقة بنتيجة العنف الذي تمارسه الجماهير يقول فانون: "قبل المفاوضات تكتفي أكثر من الأحزاب في أحسن الأحوال بأن تلتمس المعاذير (لهذه الوحشية)، إنها لا تطالب بالكفاح الشعبي، وليس نادرا أن نراها تنتقد في حلقات مغلقة تلك الأعمال التي تصفها صحافة البلد المستعمر، بوصفها رأيه العام بأنها منكرة كريهة، وهذه السياسة التجميدية تعلل بالحرص على رواية الأمور رواية موضوعية.

وهذا الموقف ليس موضوعيا، إنما هؤلاء الناس ليسوا على ثقة بأن هذا العنف الجامح الذي تعمد إليه الجماهير هو السبيل الأجدى للدفاع عن مصالحهم الخاصة، ثم إنهم غير مقتنعين بجدوى الأساليب العنيفة، وعندهم أن كل محاولة لتحطيم الاضطهاد الاستعماري بالقوة إنما هو سلوك يأس، سلوك انتحار، ذلك أن دبابات المعمرين والطائرات المقاتلة تحتل في أدمغتهم مكانا كبيرا، فمتى قلت

---

[1] فرانس فانون: معذبو الأرض ،انظر ص 13.
[2] المصدر نفسه، انظر، ص 14.

لهم يجب أن نعمل رأوا القنابل تتساقط فوق رؤوسهم ورأوا الدبابات تزحف على طوال الطريق ورأوا الرشاشات والشرطة فظلوا قاعدين لا يتحركون.

أن عجزهم عن الانتصار بالعنف أمر لا حاجة للرهان عليه، إنهم يبرهنون على هذا العجز في حياتهم اليومية وفي مناوراتهم ...

هؤلاء يتصورون أن للعنف شروطه التحضيرية والواقعية أن له أدوات يجب إنتاجها، وزبدة القول هم يعتقدون أن انتصار العنف يقوم على إنتاج الأسلحة وهذا يستند على القوة الاقتصادية وعلى الدولة الاقتصادية وعلى الوسائل المادية التي توضع تحت تصرف العنف، الواقع أن الإصلاحيين لا يقولون شيئا آخر: "بأي شيء تريدون أن تحاربوا المعمرين؟ بسكاكينكم؟ ببنادق الصيد التي عندكم"؟[1]

لنعود الآن إلى الأحزاب السياسية،إن الموجهين السياسيين يتحدثون في خطبهم عن الأمة، صحيح أنه ليس هناك برنامج سياسي واجتماعي، ليس هناك إلا شكل غامض مبهم، صحيح أنه ليس هناك مضمون، يمكن أن نقول بأنه الحد الأدنى من المطالب.

حين يدعوا أحد السياسيين الشعب إلى اجتماع، فيمكن أن نقول أن في الهواء دما، فإن هذا السياسي لا يعني إلا إظهار قواه دون استعمالها.[2]

إن هذا العنف الذي يملأ الهواء قبل اكتمال نضجه يفرغ شحناته في غير الطرق السليمة، فالاستعمار هو الذي جعله يتصرف في نزعات قبلية أو محلية وهو الآن يسير في طريقه، المستعمر يعرف عدوه ويصنع في هذا الدرب الجديد كل ما في حقده وغضبه من قوة هائلة.

كيف ننتقل من العنف الذي يملأ الهواء إلى العنف الذي يتدفق في كفاح؟ إن الواقعة الأولى هي أن هذا التطور يفسد على المعمر طمأنينته، إن المعمرين ولا سيما الزارعين المنعزلين في مزارعهم هم أول من يحس بالخطر فيطالبون باتخاذ إجراءات لإظهار قوتها، فتقتل زعيما أو زعيمين وتقوم بمناورات وتطلق طائراتها في السماء، إن هذه المدافع ورائحة البارود تقوي روح الهجوم في الشعب،

---

[1] فرانس فانون: معذبو الأرض، انظر ص 31.
[2] المصدر نفسه،انظر ص 40

وفي هذه الظروف ما تلبث أن تقوم حادثة تافهة حتى يبدأ إطلاق الرصاص: مثل ما حدث في سطيف أن أعمال القمع التي تقوم بها السلطات تجعل نمو الوعي القومي.[1]

إن الأحزاب السياسية لم تطلع شعار الثورة ولم تعد إلى الأعمال العنيفة ، إن جميع هذه الأعمال لم يشأ السياسيون أن تقع، ويقرر الاستعمار حينئذ أن يعتقل القادة الوطنيين، لكن الاستعمار يعلم أن حرمان الجماهير من زعيمها يشكل خطر لأن الشعب بفقدانه الزعيم يندفع إلى العنف والإرهاب فيفرض على الاستعمار إطلاق سراح الزعماء، وهكذا فأن الشعب المستعمر الذي أنطلق من تلقاء ذاته يستعمل العنف في سبيل تحقيق مهمة تحطيم النظام الاستعماري.

جميع الناس يشعرون بالعنف لكنهم عاجزون عن وقف هذه الأعمال العنيفة وكيفية التعامل معها.

إن هذا العنف في حقيقة الأمر إدراك الجماهير أن التحرر لا يتم إلا بالقوة، ويمكن أن يكون العنف ستار لحزب سياسي، وفي وسع قيادات حزبية أن تدعوا الشعب إلى كفاح مسلح.

إن القادة الوطنيون يعرفون أن الرأي العام العالمي تصنعه الصحافة الغربية وحدها، وحين يجيء صحفي غربي ويطرح أسئلة على القادة الوطنيين فقلما يكون هدفه الخداع حرب الجزائر مثلا، إن أكثر الصحفيين الفرنسيين تحررا لم يكفوا لحظة عن استعمال نعوت ملتبسة المعاني وإذا عوتبوا في ذالك قالوا لنا إننا أناس موضوعيون.[2]

إن الرأسمالية والاستعمار مقتنعان بأن النضال ضد التفرقة العنصرية ليست إلا اضطرابات يحرص عليها من "الخارج".

إن القادة الفرنسيون في الجزائر يقومون بتلك الحرب التخريبية مع الدوائر البسيكولوجية أنهم يستخدمون الشعب ضد الشعب.

إن هذا الجو من العنف لا يخيف المستعمرين، إن بين العنف الاستعماري والعنف السلمي الذي يعيش في جوه المعاصر نوع من التقابل والتجانس.

---

[1] فرانس فانون: معذبو الأرض،انظر ص 41.
[2] المصدر نفسه، انظر ص 47

إن عنف النظام الاستعماري المستمر يتوازنان ويتجاوبان في تجانس مشترك . إن اشتداد العنف لدى الشعب المستعمر سيكون متناسبا مع العنف الذي يمارسه النظام الاستعماري المرفوض، متى اختار المستعمر أن يواجه العنف بالعنف، رأيت أعمال الانتقام البوليسية تستدعي القصف بالرشاشات من الطائرات يفوقان ردود المستعمر هولا ورهبة إرهاب مقابل عنف وعنف مقابل.[1]

إن في الكفاح المسلح أعمال قمع ضخمة تشمل جميع قطاعات الشعب، إن ما حدث في الجزائر عام 1955 حين وقعت الأحداث التي أودت باثني عشرة ألف ضحية في فيليب فيل، وكذلك عام1956 حين أنشأ لاكوست ميليشيا المدن والأرياف. أنه أراد أن يرد على العنف بالعنف.

سبع سنين تقريبا تنقضي في جرائم ترتكب في الجزائر دون أن يمثل فرنسي واحد أمام القضاء لأنه قتل جزائريا.

إن ظهور المعمر كان معناه لدى المستعمر موت المجتمع الأصلي، إن الحياة لا يمكن أن تعود إلى الانبثاق إلا من جثته، المعمر حينها يصبح المعمر الثقافة القديمة وتجمد الحياة في الأفراد، في آن معا إن تعبئة الجماهير حين تتحقق بمناسبة حرب التحرير تبث في ضمير كل فرد فكرة القضية المشتركة والمصير الوطني والتاريخ القومي، لذلك نرى مرحلة بناء الأمة يسهلها وجود هذا الاندماج.

لقد كان الشعب يدعي أثناء الاستعمار إلى الكفاح ضد المستعمر الغاشم إذا تحقق التحرر الوطني، أصبح يدعي إلى الكفاح ضد الفقر ضد الأمية، ضد التخلف الاقتصادي.

ويتحقق الشعب من أن الحياة معركة دائمة لا تنتهي.[2]

إن العنف الذي يعمد إليه المستعمر يوحد الشعب، يطهر الأفراد من السموم أنه يخلص المستعمر من مركب النقص.

إنه يرد له شجاعته ويرد إليه اعتباره في نظر نفسه، إن الجماهير التي شاركت بالعنف في التحرير الوطني لا تسمح لأحد أن يعد نفسه "محررا" إنها حريصة أشد الحرص على مواصلة نضالها، إن الضمير الذي أضاءه العنف بنوره يستعصي على كل محاولة لتهدئة الخواطر.

---

[1] فرانس فانون: معذبو الأرض، انظر ص 56

[2] المصدر نفسه، انظر ص 57

إن المسؤول السياسي في المناطق المتخلفة يدعوا شعبه إلى القتال، قتال ضد الاستعمار ضد الفقر، ضد التخلف الاقتصادي، فلنبرهن لأنفسنا وللعالم على أننا نستطيع أن نحقق النمو والتطور الذي وصلت إليه البلاد المتقدمة، إن الاستقلال الوطني في البلاد المتخلفة لا يتمتع بتطور اقتصادي كبير، الجماهير في هذه البلاد تكافح الفقر.

إن هذا العالم هو عالم يائس متخلف عكس الأمم الأوروبية التي تتمتع بالرخاء والنعيم، إن هذه البحبوحة التي تتمتع بها أوروبا فضيحة لأنها قامت على أكتاف العبيد.[1]

قد اعتقد الناس أنه قد آن الأوان للعالم الثالث خاصة أن يختار بين النظام الرأسمالي والنظام الاشتراكي، إن البلدان المتخلفة التي استفادت من التنافس الضاري القائم بين النظامين أجل أن تكفل انتصار كفاحها في سبيل التحرير الوطني.

إن على العالم الثالث أن لا يكتفي بتحديد ذاته على أساس قيم مسبقة، إن على البلدان المتخلفة أن تضع المناهج التي تناسبها وأن تتبع الأسلوب الذي بلائمه، إن المشكلة المحسوسة ليس أن نختار بين الاشتراكية والرأسمالية إن النظام الرأسمالي من حيث هو نظام الحياة، لا يمكن أن يحقق القومية والعالمية، فالاستغلال الرأسمالي والاحتكارات أعداء البلدان المتخلفة، كما أننا نعلم أن اختيار نظام اشتراكي يلتفت برمته إلى مجموع الشعب، ويقوم على اعتباره الإنسان أثمن قيمة.[2]

لقد كان النظام الاستعماري يهتم بثروات معينة وموارد معينة، وما من دراسة حتى الآن تناولت الأرض سطحها وجوفها لذلك ترى الأمة الناشئة مضطرة إلى الاستمرار في الطرق الاقتصادية التي أنشأها النظام الاستعماري.

لقد أنشأ النظام الاستعماري دورات اقتصادية جامدة، الأمة الناشئة مضطرة إلى الإبقاء على هذه الدورات الاقتصادية وإلا كانت وإلا كانت تعرض نفسها لكارثة يجب أن تسأل الأرض من جديد عن مواردها.

[1] فرانس فانون: معذبو الأرض،انظر ص 62.
[2] المصدر نفسه، انظر ص64.

لابد من رؤوس أموال ومن خبراء ومهندسين، إن الجهد الجبار الذي يهيب قادة الشعوب المتخلفة بشعوبهم أن يقوموا به لن يعطي الثمرات المرجوة، فإذا لم تبدل شروط العمل فستنقضي قرون طويلة قبل أن نستطيع رد الإنسانية إلى هذا العالم الذي أنزلته القوى الاستعمارية إلى الحيوانية.[1]

الحقيقة هي انه علينا أن نرفض رفضا قاطعا الوضع الذي تريد البلاد الغربية أن تفرضه علينا، إن الاستعمار الرأسماليون ضلوا قرونا طويلة يسلكون في العالم المتخلف سلوك مجرمي الحروب، كما أن الدول الاستعمارية ترتكب خطأ فادحا، ادن هي اكتفت بأن تسحب من أرضنا قواها العسكرية وكذلك اكتشاف ثرواتنا واستخراجها وتصديرها إلى عواصم البلاد المستعمرة.[2]

إن هناك خطرا آخرا يهدد الرأسمالية العالمية، إن شعوب العالم الثالث ستقرر أن تتطور على أساس الاكتفاء الذاتي الجماعي فتحرم الصناعات الغربية من أسواقها مما يدفع الطبقة العاملة الأوروبية إلى خوض كفاح صريح ضد النظام الرأسمالي، وهكذا نرى أن شعوب العالم الثالث الناشئة تخطئ إذ هي استنجدت بالبلاد الرأسمالية، إن المشكلة الأساسية ليست هي الحرب بين النظام الاشتراكي والنظام الرأسمالي، وإنما يجب إنهاء هذه الحرب الباردة.[3]

ومن أجل تحقيق ذلك لا بد من أن تقرر الجماهير الأوروبية أولا أن تستيقظ من سباتها وأن تكف عن تمثيل دور الحسناء النائمة في الغابة.[4]

---

[1] فرانس فانون: معذبو الأرض، انظر ص 68.
[2] المصدر نفسه، انظر ص 69.
[3] المصدر نفسه، أنظر صفحة 70.
[4] المصدر نفسه، أنظر صفحة 71.

الانطلاق العفوي عظمته ومواطن ضعفه:

إن تحقيق الوعي السياسي يتم بتكاثر الحركات التي تطالب بالحقوق وبتكاثر الصراعات النقابية، كما أن قيام الأحزاب السياسية في البلاد المستعمرة، معاصر لنشوء نخبة من المثقفين والتجار.

إن ما يغيب عن الأحزاب السياسية في البلدان المتخلفة هي أنها نتيجة لاهتمامها الأول بالعناصر الواعية من الشعب: الطبقة العاملة في المدن، أصحاب الحرف والموظفين.[1]

ونجد أن البروليتاريا أقل استعدادا لتلبية نداء الشعارات التي قد تدعوا إلى الكفاح القوي في سبيل التحرير الوطني، فالبروليتاريا الناشئة التي تعيش في المدن هي طبقة تتمتع نسبيا ببعض الامتيازات إذا كانت البروليتاريا في البلاد الرأسمالية لا تخشى أن تخسر شيئا لأنها الطبقة التي يمكن أن تربح كل شيء، فإن البروليتاريا في البلاد الرأسمالية المستعمرة يمكن أن تخسر، فهي من الشعب المستعمر ذلك الجزء الضروري الذي لا يستغني عنه لحساب الآلة الاستعمارية : سائقوا الحافلات، عمال المناجم، وهذه العناصر هي التي تضمها الأحزاب الوطنية، وبهذه الامتيازات التي تملكها في ظل النظام الاستعماري يمكن أن تعد الجزء البورجوازي من الشعب المستعمر.[2]

إن الأكثرية الساحقة في الأحزاب الوطنية "من عمال المدن والمثقفين " أن يصبح رأيهم في سكان الأرياف كرأي المستوطنين لكن إذا حاولنا أن نفهم أسباب هذا الحذر الذي تشعر به الأحزاب الوطنية إزاء الجماهير الريفية كان علينا أن نتذكر هذه الحقيقة وهي أن الاستعمار قد عزز سيطرته بواسطة العمل على تجميد الأرياف وتحضيرها، إن الجماهير الريفية ما تزال تعيش في المرحلة الإقطاعية وهذه البنية الاجتماعية إنما يغذيها الموظفون الإداريون والعسكريون الاستعماريون.[3]

وما تلبث أن تدخل البورجوازية التجارية، نقصد بذلك البورجوازية الوطنية الناشئة في تنافس هؤلاء السادة الإقطاعيين، فنجد الزعماء التقليديون يستعملون سلطتهم السياسية والإدارية للقيام بالتجارة ، والقادة المحليون يعارضون باسم التقاليد دخول تجارات جديدة، وبذلك يكون السكان الأصليين في نظر الإقطاعيين صيدا يجب أن يحافظوا عليه.

[1] فرانس فانون: معذبو الأرض ، أنظر صفحة 73.
[2] المصدر نفسه، أنظر صفحة 75.
[3] المصدر نفسه، أنظر صفحة 75.

إن الأحزاب الوطنية لو حللت المجتمع المستعمر تحليلا عقليا لأدركت أن الفلاحين المستعمرين يعشون في بيئة تقليدية بنيانها سليما، على حين البيئة التقليدية في البلاد المصنعة هي التي صدعها تقدم التصنيع، إن البروليتاريا الناشئة هي تلك الطبقة من الفلاحين الذين لا يملكون أرضا يهجرون الريف فيتكدسون في الموانئ والمدن ، فيكونون بذلك البروليتاريا الدنيا ، والجماهير الريفية التي تبقى في القرى تحمي عاداتها وتقاليدها هو في المجتمع المستعمر يمثل العنصر الانضباطي الذي يظل بنيانه الاجتماعي سليما.[1]

الفلاحون ينظرون إلى سكان المدن بأنهم أناس لا أخلاق لهم وينعتونهم بالخونة ، وفي ظل هذا الصراع نجد الاستعماريون يستغلون هذا الوضع في صراعهم ضد الأحزاب الوطنية، فهم يجندون سكان الجبال ضد سكان القرى.[2]

إن الأحزاب السياسية لا تمضي إلى لقاء الجماهير ولا تضع معارفها في خدمة الشعب، فهي ترسل مسؤولين مجهولين للذهاب إلى القرية، وهي بذلك تتجاهل الزعماء التقليديين، إن من واجب الأحزاب السياسية أن توفق بين القبائل والشعائر وبين النضال الحاسم الذي تدعوا الشعب إلى خوض غماره.[3]

وفي الوقت الذي تحاول الأحزاب السياسية أن تنظم الطبقة العاملة الناشئة في المدن نجد الأرياف في بعض الأحيان تشهد انفجارات، وما حدت في ثورة مدغشقر عام 1047 دليل على ذلك أن المصالح الاستعمارية قد فسرت هذه الثورة بأنها عصيان، ولكن في حقيقة الأمر أن الأمور كانت أعنف من ذلك، كانت الشركات الاستعمارية قد استولت على جميع الأراضي واستعمل الاستعمار جميع أساليب القمع لتحقيق أهدافه، فكانت اعتقالات كثيرة، كما حاولوا خلق حزب جديد من صفوف البروليتاريا الدنيا أسموه "حزب المحرومي" وكان الغرض من خلق الحزب أن تكون استفزازاته حجة مشروعة تذرع بها السلطة الاستعمارية للمحافظة على النظام.

فأدركت الجماهير الريفية بأنها مهددة بالموت فقررت أن تواجه الاستعمار وتعارضه بالقوة وبالحجارة، وخاضت غمارا لثورة التي عمت في البلاد في سبيل تحرير الوطن ، وهكذا يخلق

[1] فرانس فانون: معذبو الأرض، انظر ص 76.
[2] المصدر نفسه، انظر ص 76.
[3] المصدر نفسه، انظر ص 79.

الفلاحون من تلقاء نفسهم جوا عاما من الإضراب فيخاف الاستعمار ، فإما أن يستمر في الحرب وإما أن يفاوض.[1]

إن العمل المسلح إنما خلقه طبقة من الفلاحين والأحزاب الوطنية لم تكن لتقوم بهذا العمل وهي الآن لا تعارض استمرار الثورة، ولكنها لا تحاول أن تنظم الثورة، إنها تأمل أن يستمر الكفاح لدى الجماهير من تلقاء ذاته دون بث الوعي السياسي، فهي لا تحاول أن تظم هذه الطبقة إليها وتنورها.

إن ظهور الثورة في المدن يبدل ملامح الكفاح ، لقد كانت الجيوش الاستعمارية متجهة كلها إلى الأرياف، وهاهي الآن ترجع إلى المدن، إن الخطر ماثل في كل مكان .

إن انتصار قادة الثورة على الآلة الاستعمارية يجعل شكهم في عدم جدوى السياسة التقليدية يزداد لذلك نرى العفوية هي التي تنتصر.[2]

إن حركة التحرير أصبحت واضحة المعالم، وهي تتناول مجموع البلاد، ففي كل منطقة من المناطق تنشأ حكومة مصغرة تستلم زمام الأمر، إن هدف كل مجموعة من الجماعات المسلحة التي تشكل تشكلا عفويا إنما هو تحرير المنطقة التي هو فيها، إن الشعب يحاول أن يلتحم وينسى كل الأحقاد بين الأسر المتعادية، لأن وحدة الأمة غنما هي وحدة الجماعة، إن الشعب الذي يخوض غمار المعركة يكتشف نفسه، ويريد أن يكون سيد مصيره، إن الناس في الكفاح يتساندون كتف لكتف وتعد كل قوية نفسها معسكرا من معسكرات القتال وأن كل الناس مستعدين لأن يموتوا في سبيل " القضية" التي يكافحون من أجلها.[3]

ويظهر هذا التضامن بوضوح في المرحلة الثانية التي يبدأ العدو بشن هجومه، إن الاستعمار يحاول تنظيم نفسه بطريقة تناسب طبيعة الثورة، وتكون بذلك قوى العدو أكبر من القوة الوطنية، مما يخطر الثوار إلى خوض معركة وجها لوجه.

[1] فرانس فانون: معذبو الأرض، انظر ص 91.
[2] المصدر نفسه، انظر ص 96.
[3] المصدر نفسه، انظر ص 98.

ويدرك قادة الثوار أن عليهم أن يخلقوا جيشا وأن عليهم أن يعودوا إلى السياسة لا كأسلوب تحذير بل كوسيلة لقوية الكفاح، فهو يضيف إلى سياسة القمع الوحشية سياسة أخرى يتظاهر بانفراج الأزمة ويعمد على " الأساليب السيكولوجية " لتضليل الناس.[1]

إن التعصب العرقي والكره والحقد ذلك كله لا يمكن أن يغذي حربا تحريرية لأنها سرعان أن تزول إذا هي أرادت أن تتغذى من ذاتها، صحيح أن الجرائم التي ترتكبها القوات الاستعمارية ما تفتأ تمد المناضل بدوافع جديدة إلى الحقد.[2]

إن الملحمة تتابع فصولها يوما بعد يوم، إن الأيام تتلوا الأيام لا ينبغي للمستعمر المنخرط في الكفاح ولا الشعب الذي يجب أن يستمر في مساندة الثورة أن يتوقف، يجب أن لا يتوهموا بأن الوصول إلى الهدف أمر مستحيل يجب أن يعرف الشعب إلى أين هو ماض.

ليست الحرب معركة كبيرة واحدة ، وإنما هي سلسلة من المعارك ليست واحدة منها فاصلة عن الأخرى ، يجب أن لا تبقى أهداف الكفاح غامضة ، يجب إذن أن تضاف الشرح والتوضيح.

يجب أن يقتنع المستعمر بأن الاستعمار لا يهب له شيئا وأن كل ما يحصل عليه المستعمر إنما هو ثمرة اجتهاده وكفاحه السياسي والمسلح (2).

إن هذه الشروح لا يمكن أن تتم إلا في إطار تنظيم يتناول الشعب وهذا التنظيم إنما يكون باستعمال العناصر التي التحقت بالأرياف أثناء تطور الكفاح ، ولكن الفلاحين الذين ينضجون معارفهم بالتجربة يبرهنون أنهم قادرين هم أيضا على قيادات الكفاح الشعبي إن صدمت المدن واستمرار الحياة فيها على منوالها المألوف يولد شعورا في نفس الفلاح بأن قسما بكامله من الأمة يكتفي بمشاهدة المعركة .

فعلى الموجه السياسي في هذه الحالة أن يجعل الفلاحين قادرين على تمييز الأمور تميز أدق.[3]

---

[1] فرانس فانون: معذبو الأرض، انظر ص103.
[2] المصدر نفسه، انظر ص 105.
[3] المصدر نفسه، انظر ص 108.

إن الشعب الذي يكافح ويدرك بالنضال الواقع الجديد يسير حين يتحرر من الاستعمار متنبئا بجميع محاولات التضليل العنف الذي يمارسه الشعب العنف المنظم الواعي الذي ينيره قادة الثورة هو الذي يتيح للجماهير أن تخلل الواقع الاجتماعي وبدون هذا النضال لا يكون إلا ثمة تهريج.[1]

[1] فرانس فانون: معذبو الأرض، انظر ص 114.

مزالق الشعور القومي :

إن الشعور القومي حسب فرانز فانون هو التحام لمطامع الشعب، وما لم يكن كذلك فهو في أحسن الأحوال إلا شكلا لا مضمون له، إن مواطن ضعف الشعور القومي إنما هي نتيجة عجز البورجوازية الوطنية في البلدان المختلفة عن ترشيد النضال الشعبي، وكذلك كسل هذه البورجوازية وإلى فقرها[1].

إن هذه البورجوازية المختلفة قوتها الاقتصادية تكاد تكون منعدمة، لقد ظنت أن في وسعها أن تحل محل بورجوازية الاستعمار لأنها لا تملك القوة لأن تتجه بنداءات قوية إلى الدولة التي كانت تستعمر بلادها، إن البورجوازية الوطنية في البلدان المختلفة ليست متجهة نحو الإنتاج، والبناء، والعمل فهي تنفق نشاطها كله في أعمال من نوع الوساطة[2].

إن على البورجوازية الوطنية الصادقة في البلدان المختلفة أن تدخل مدرسة الشعب، أي تضع تحت تصرف الشعب الرأسمالي الثقافي الذي استطاعت أن تنتزعه مرروها بجامعات الاستعمار[3].

ولقد رأينا أن هدف الأحزاب الوطنية يصبح منذ مرحلة هدفا قوميا تماما، فهو يعبئ الشعب حول شعار الاستقلال مرجئا ما عدا ذلك للمستقبل فإذا سألت رجال هذه الأحزاب عن البرنامج الاقتصادي الذي ستلتزمه الدولة، وعن النظام الذي لا يريدون إقامته رأيتهم عاجزين عن الإجابة، لأنهم يجهلون كل الجهل اقتصاد بلادهم[4].

إن اقتصاد بلادهم قد تطور بعيدا عنهم إنهم لا يعرفون شيئا عن ما تملكه الأرض من موارد. وكما أننا نرى فقر وسائلها وقلة اقتصادها، كما نجد البورجوازية الوطنية تهتم بالإنتاج الزراعي الذي كان يتميز به العهد الاستعماري.

فهي لا تحدث تغيير في هذه المنتجات وتظل البلاد تصدر مواد أولية كغلال الكاكاو وغلال الزيتون...

---

[1] فرانس فانون: معذبو الأرض، انظر ص 115.
[2] المصدر نفسه، انظر ص 116.
[3] المصدر نفسه، انظر ص 117.
[4] المصدر نفسه، انظر ص 118.

ومما تفتأ البورجوازية الوطنية تطالب بتأميم الاقتصاد والتأميم عندها إنما يعني نقل الامتيازات الموروثة من العهد الاستعماري إلى أهل البلاد.

إن البورجوازية الوطنية لا تملك الوسائل المادية ولا الوسائل العقلية "مهندين، فنيين، نراها تكتفي بوضع اليد على مكاتب الأعمال و بيوتات التجارة التي كان يشغلها المستوطنون الأجانب، إنها تحتل الأمكنة التي كان يشغلها الأوربيون، أطباء ومحامين وتجار..[1]

إن البورجوازية الوطنية تكشف لنفسها بأن تكون وسيطا بين البلاد وبين رأسمالية مضطرة إلى التخفي، فهي بذلك تلعب دور وكيل للبورجوازية الغربية، هذا كله إنما يرمز إلى عجز البورجوازية الوطنية على النهوض بالدور التاريخي الذي تنهض به الأمة.

إن البورجوازية الوطنية في أول عهدها تشبه البورجوازية الغربية في آخر عهدها، والانحطاط الذي تتردي فيه البورجوازية الوطنية تساعد عليه البورجوازية الغربية مساعدة كبيرة (يتوافد رجالها على البلاد) بتوافد رجالها على البلاد سائحين مولوعين بالغرائب والصيد والملاهي، إن البورجوازية الوطنية الغربية، تنشئ مراكز للراحة والاستجمام واللذة يتقاطر عليها رجال البورجوازية الغربية، وهي تطلق على هذا النشاط اسم السياحة تعده أشبه بصناعة وطنية.[2]

ولا يختلف سلوك ملاكي الأراضي عمليا عن سلوك بورجوازية المدن، إن ملاكي الأراضي يطالبون السلطات العامة بأن تقدم لهم تسهيلات مثلما كان ينعم بها المستوطنون الأجانب قبل الاستقلال ويصبح استغلال العمال الزارعين أمرا مشروعا.

ويتزود المستوطنون بشعارات ليطالبوا العمال الزارعين بالقيام بجهود ضخمة باسم الاشتراك في المجهود القومي العام.

إن السيطرة الاستعمارية كما تعلمون قد خصت بعض المناطق بامتيازات خاصة، فجعلت اقتصاد المستعمر غير متكامل مع مجموعة الأمة، إن الاستعمار لا يستثمر مجموع البلاد وإنما يكتفي باكتشاف موارد معينة فيستخرجها ويصدرها إلى صناعات البلاد المستعمرة.[3]

---

[1] فرانس فانون: معذبو الأرض، انظر ص 119.
[2] المصر نفسه، انظر ص 120.
[3] المصدر نفسه، انظر ص 121.

إذا تحقق الاستقلال كان الوطنيون الذين يقطنون في المناطق المزدهرة يرفضون أن يطعموا الوطنيون الذين يعيشون في المناطق البائسة، ويشعر الوطنيون في هذه المناطق بكره نحو الآخرين، وينعتونهم بأنهم أناس حاسدون ميالون إلى الجريمة.

إن الوحدة الإفريقية هذا الشعار الغامض "ولكنه الشعار الذي تعلقت به قلوب الرجال والنساء بإفريقيا تعلقا حساسيا قويا، وكان يضغط على الاستعمار ضغطا هائلا.[1]

فالبورجوازية الوطنية تنكشف بأنها عاجزة عن تحقيق الوحدة القومية، إن الاستعمار يحاول أن يحطم فكرة الوحدة الإفريقية مستعملا جميع مواطن الضعف في هذه الحركة، فهو يعبئ الشعوب الإفريقية كاشفا لها عن وجود خصومات "روحية" ففي السنغال تصدر جريدة "افريقية الجديدة" كل اسبوه لتعبر عن كره أصغر نحو الإسلام والعرب، وتستعدي الشعور القومي على اللبنانيين الذين يملكون في الساحل الغربي القسم الأكبر من التجارة الصغيرة وتحض على الانتقام منهم[2].

إن الاستعمار يبدوا سعيدا لأنه يثير الإفريقيين بعضهم على بعض بعد أن اتحدوا بالأمس ضده، لقد أخذ الدين في نطاق أمة واحدة يجزئ الشعب والاستعمار وأجهزته من وراء ذلك تغذيه وتقويه وتنفجر هنا وهناك أحداث لم تكن في الحسبان أن إفلاس البورجوازية تبرهن على عجزها عن تحقيق النصر لحد أدنى من العقيدة الإنسانية[3].

إن التعصب العرقي لدى البورجوازية الوطنية في البلاد المستعمرة إنما هو تعصب دفاعي، إنه لا يختلف في جوهرة عن القبيلة الرخيصة بل لا يختلف عن الخصومات بين الفرق الصوفية أو الجماعات الدينية[4].

إن الشعوب الإفريقية قررت باسم القارة الإفريقية كلها أن تحطم الاستعماري، و البورجوازية الوطنية تضع حواجز دون تحقيق هذا " الحلم"، إن الوحدة الإفريقية لا يمكن أن تتحقق إلا باندفاع الشعوب وبقيادة الشعوب رغما عن البورجوازية الوطنية.[5]

[1] فرانس فانون: معذبو الأرض، انظر ص 122.
[2] المصدر نفسه، انظر ص 127.
[3] المصدر نفسه، انظر ص 130.
[4] المصدر نفسه، انظر ص 131.
[5] المصدر نفسه، انظر ص 131.

إن البورجوازية الوطنية أن تستثمر أموالها في الوطن، وتوجه استثماراتها إلى الدول الأوربية، إنها تريد أن تستفيد من هذا الوضع، وفي هذه الأثناء يصبح الجيش أداة لقنع هذه الأعمال ويصبح بذلك خطرا يهدد البورجوازية.

وإذا أردنا نخرج البلاد من الركود كان يجب علينا إذن أن نؤمم قطاع الوساطة باعتباره في الاقتصاد الاستعماري من أهم الميادين[1].

إن البلاد التي تريد أن تحل قضاياها وتنمي عقول سكانها يجب أن يكون لها حزب سياسي، يجب أن لا يكون الحزب في نظر الشعب هو السلطة، بل الجهاز الذي بواسطته يستطيع الشعب من حيث هو شعب أن يمارس سلطته ويحقق إرادته.

وعلى الحزب في البلاد المختلفة أن لا يكتفي بالاتصال بالجماهير وإنما ينبغي له أن يكون تعبيرا مباشرا عن الجماهير.[2]

ليس الحزب جهازا مهمته نقل أوامر الحكومة بل الحزب هو الناطق القوي بلسان الجماهير.

ينبغي على الرجل السياسي أن يوقظ الشعب ويوعيه إلى أين هو ماض؟ ولماذا هو ماض حيث هم ماضون؟ ينبغي أن يستطيع المواطنون أن يتكلمون وان يعبروا وان يبتكروا.

إن النوعية السياسية إنما تعني إيقاظ العقول إقحام الأذهان في العالم إنها كما قال سيزار: "خلق نفوس".[3]

إن إدخال الجماهير في الحياة السياسية لا يكون إلقاء خطاب سياسي، وإنما يكون بالعمل العنيف الدائب على إفهام الجماهير أن كل شيء رهن بها.

يجب أن تعلم الجماهير أن الحكومة والحزب هما في خدمتها والشعب الذي يشعر بكرامته الشعب الذي يعي كرامته لا يمكن أن ينسى هذه الحقائق، لقد قيل للشعب أثناء الاختلال الاستعماري أن عليه أن يحضى بحياته في سبيل الكرامة، ولكن الشعوب الإفريقية سرعان ما أدركت أن كرمتها لا

[1] فرانس فانون: معذبو الأرض، انظر ص 131.
[2] المصدر نفسه، انظر ص 137.
[3] المصدر نفسه، انظر ص 145.

يجحدها المحتل فحسب، سرعان ما أدركت أن هناك تساويا مطلقا بين الكرامة والسيادة، فالشعب الذي يحتمل المسؤولية.[1]

إن جميع الناس سيتعدبون وسيجوعون إن المعركة الجماعية تستلزم مسؤولية جماعية، يجب أن نورط جميع الناس في المعركة حتى نضمن السلامة العامة والخلاص العام.

إن من واجب القيادة أن تكون الجماهير معها، إن البلاد المختلفة التي تقودها صفوة ثورية منبثقة عن الشعب تستطيع وحدها اليوم أن تتيح للجماهير أن تصعد إلى مسرح التاريخ، ولكنني أعود فأقول يجب علينا أن نعارض معارضة شديدة حاسمة في نشوء بورجوازية وطنية في قيام طبقة من أصحاب الامتيازات، إن إدخال الجماهير في السياسة كمعناه أن نجعل الأمة كلها حاصرة في كل مواطن، معناه أن تجعل تجربة الأمة كلها حاضرة في كل مواطن.[2]

إن التعبير الحي عن الأمة إنما هو الوعي الذي يحرك مجموعة الشعب، هو العمل المنسق النير الذي يندفع فيه الرجال والنساء، إن تولي الجماعة بناء مصيرها هو تحمل مسؤولية على مستوى التاريخ، على الحكومة القومية، إذا هي أرادت أن تكون قومية، أن تحكم بالشعب ومن أجل الشعب وعلى الحكومة القومية قبل أن تعنى بمهابتها الدولية أن ترد الكرامة إلى كل مواطن.[3]

---

[1] فرانس فانون: معذبو الأرض، انظر ص 160.

[2] المصدر نفسه، انظر ص 167.

[3] المصدر نفسه، انظر ص 174.

في الثقافة القومية:

إن الأجيال السابقة في البلاد المتخلفة قاومت أعمال الاستنزاف التي تابعه الاستعمار من جهة وهيأت لنضج الكفاح من جهة أخرى. فهذه الأجيال لم تستسلم للاستعمار ولم ترضخ للذل والمهانة، بقيت صامدة في وجهه، ناظلوا بأسلحتهم التي يملكون، كما قاموا بعدة ثورات لقمع المستعمر، كان لابد لهذه الثورات حتى يتمكن الجيل اللاحق من أن يقوم بالكفاح من أجل تحقيق النصر.[1]

وفي هذا الفصل سنتعرض إلى مسألة أساسية وهي مشروع المطالبة بإنشاء أمة، إن ما يهم الحزب السياسي هو أن يفهم الشعب الذي يسمع حديثه ضرورة المشاركة في المعركة إذا كان حقا يطمح للبقاء والاستمرار.

إن الاستعمار يحاول أن يوهم الشعب بأن البلاد تشكو من حالة تخلف ويجب بدل مجهود اقتصادي واجتماعي كفتح ورشات التشغيل، فالاستعمار سيعلم آجلا أم عاجلا أنه ليس في وسعه تقديم إصلاحات اقتصادية واجتماعية ترضي مطامع الشعب المستعمر. كيف ذلك والاستعمار جاء لنهب ثروات الشعوب المستضعفة، فليس في وسعهم تقديم ظروف مادية تنسي المستعمر اهتمامه بالكرامة.[2]

هناك من بين الأحزاب السياسية أناس من أهل الثقافة المستعمرين أنهم يفخرون بشعبهم، ويعجبون بتاريخ همجياتهم، وأنهم حين اكتشفوا الماضي لم يعد عارا عندهم بل كرامة. إن الاستعمار يحاول أن يشوه الماضي المستعمر، ويحاول أن يقنع السكان الأصليين بأنهم أرادوا أن ينتشلوهم من الظلام وأن رحيل المستوطن الأوروبي يردهم إلى الهمجية الحيوانية.[3]

إن المثقف المستعمر يحاول أن يعلن الحرب على الأكاذيب الاستعمارية الذين يقولون بأن تاريخ الشعوب المستعمرة تسوده الهمجية.

رأينا أن كفاح التحرر مصحوب بظاهرة ثقافية تعرف بقضية الإسلام وأن الكتاب العرب يتحمسون لتذكير شعوبهم بالصفحات الرائعة من تاريخهم. ويستعرضون أسماء عظماء الأدب العربي.

---

[1] فرانس فانون: معذبو الأرض، انظر ص 175.

[2] المصدر نفسه، انظر ص 175.

[3] المصدر نفس، انظر ص 176.

وعلى الصعيد السياسي ترى الجامعة العربية تجسد إرادة بعث تراث الماضي، وباسم الوحدة العربي يجتمع اليوم هؤلاء الرجال محاولين خلق ثقافية عربية جديدة.

والمشكلة التي يطرحها العرب والمثقفون اليوم هي مشكلة تبني ثقافة عربية أو إفريقية.

إن هؤلاء الرجال يتحدثون عن ثقافة لإفريقية أكثر مما يتحدثون عن ثقافة قومية، فمثلا نجد " الجمعية الإفريقية للثقافة" هذه الجمعية أنشأها مثقفون إفريقيون هدفها أن يثمنوا هذه الثقافة في إطار أهم معينة وأن يبرزوا الحيوية في كل ثقافة من ثقافة الأمم الوطنية.

لكن هذه الجمعية كانت تلبي في الوقت نفسه جانبا آخر "الجمعية الأوربية للثقافة" فهذه الجمعية سرعان ما أصبحت تكتفي بتظاهرات تفاخر، وهذا الموقف طبيعي لأنه يستمد مشروعيته من الأكاذيب التي أشاعها رجال الثقافة الغربيون.[1]

ولكن إذا أردنا تتبع المراحل المختلفة التي قطعها المثقف المستعمر نجد أنه في المرحلة الأولى: قد هضم ثقافة المستعمر، وهي مرحلة التمثل الكامل، أي أن المستعمر أصبح يعي عادات وتقاليد ودين المستعمر، ونجد في هذه المرحلة أدباء بوناسيين ورمزيين وسرياليين.

وفي مرحلة ثانية: وهي مرحلة الخلق وفيها يحاول المثقف المستعمر أن يتذكر مشاهد قديمة في طفولته فهذه تمثل مرحلة قلق، مرحلة انزعاج، وهذا الأدب في بعض الأحيان يكون أدب سحرية ورمز.

وفي مرحلة ثالثة: وأخيرة تسمى مرحلة المعركة، فنجد هنا الثقف المستعمر يحاول أن يوقظ الشعب من سباته وعفويته فهو يسمى الآن أدب ثوري، وفي هذه المرحلة نجد رجال ونساء لو يخطر ببالهم أن ينتجوا أدبا. نجدهم يكتبون الجملة التي تفصح عن شعبهم.

وفي ذلك يتأكد المثقف المستعمر بأنه لا يتم البرهنة على وجود أمته بثقافة بل بخصوص المعركة.[2]

---

[1] فرانس فانون: معذبو الأرض، انظر ص 177.
[2] المصدر نفسه، انظر ص 189.

ولننتقل معا إلى الشعر فنجد الجديد فبع المرحلة التي تمثل فيها الشعراء الوطنيون الشعر الغربي الذي يلتزم القافية ظهر الإيقاع الشعري الذي يستلهم الموسيقى الشعرية، إنه شعر ثوري، شعر قادر على إبراز اللحظة التاريخية التي يجتازها الكفاح القومي.

إذن ليست الثقافة القومية هي تلك الكتلة الجامدة التي لا ترتبط بالواقع، وإنما الثقافة القومية هي مجموعة الجهود التي يبدلها شعب من الشعوب على صعيد الفكر لتضع نفسها في كفاح التحرر الذي تخوضه هذه البلدان.[1]

إن الثقافة القومية تشتد وتقوى حول كفاح الشعوب، وليس حول الأغاني والقصائد، ما من خطاب ولا نداء يصرفنا عن مهمتنا الأساسية وهي تحرير البلاد بالكفاح الذي نخوضه على الأشكال التي يتخذها الاستعمار.[2]

---

[1] فرانس فانون: معذبو الأرض، انظر ص 191.

[2] المصدر نفسه، انظر ص 193.

الأسس المشتركة بين الثقافة الوطنية وكفاح التحرر:

إن السيطرة الاستعمارية التي يصفها المستعمرون بأنها شاملة لم تلبث أن هدمت الوجود الثقافي للبلاد المستعمرة، بمعنى أن إنكار الواقع القومي، ونبذ السكان الأصليين وعادتهم، واستعباد الرجال والنساء استعبادا منظما كل هذه الأمور أتاحت الفرصة للإمحاء الثقافي.[1]

إن البلاد المستعمرة تبذل كل الجهود من أجل أن يعترف المستعمر بتخلف ثقافته، فالمستعمر يرى بأن لابد أن ينشر ثقافته وعادته وتقاليده، وهو يحس في ذلك بأنه جلب الجديد للبلاد المستعمرة، من حيث اللباس أن تلبي المرأة الحايك أو الملايا حاولوا تغيير ملبسها إلى التنورة أو اللباس القصير. فكان رد المستعمر على هذه الوضعية على اتجاهين: هناك الجماهير التي تمسكت بتقاليد هو أساس الحفاظ على ألامه وإلا اندثرت وزالت، على عكس المثقف الذي يرتمي على تحصل ثقافية المستعمر فإما أن يستخف بثقافته القومية، الاستهزاء بثقافة الاستعمار، وإما أن يشيد بهذه الثقافة الشاذة تفصيلية مليئة بالحماسة العقيمة.[2]

وهاتان المحاولتان كلتاهما تدخلان في تناقضات كثيرة: إن المستعمر سواء أهرب من الثقافية القومية أم أخذ يمجدها، يظل عاجزا عن أحداث أي تأثير، لأنه لم يحلل الوضع الاستعماري تحليل صحيح ودقيق.

إن الثقافية الوطنية في ظل السيطرة الاستعمارية ثقافة جامدة، ليس فيها أي إبداع. فمثلا العادات المتعلقة بالملبس لم تتجدد، فإنكار الثقافية القومية للبلاد المستعمرة يساعد على توليد سلوك هجومي لدى المستعمر، وهدا السلوك هو نوع من التصرفات الغريزية التي تتميز بالفوضى. فيستمر الاستغلال الاستعماري فيضطر الشعب إلى خوض كفاح صريح.[3]

هذه التوترات كلها ترجع أصداءها على المستوى الثقافي، ففي الأدب نلاحظ زيادة في الإنتاج الأدبي، وينحصر هذا الإنتاج في أول الأمر في النطاق الشعري والتراجيدي، ثم يتناول الرواية والقصة والبحث، إن التحام الشعب يؤدي بالمثقف إلى أن يتجاوز مرحلة الصراخ، فإذا الشكوى تصبح نداء، وإذا النداء يصبح في مرحلة ثانية شعارا.

---

[1] فرانس فانون: معذبو الأرض، انظر ص 204.
[2] المصدر نفسه، انظر ص 205.
[3] المصدر نفسه، انظر ص 206.

ومن هناك كان التجديد واضحا على أدب الرواية والحكايات والملاحم التي كانت قبل ذلك جامدة. فالرواة كانوا يقصون حكايات ميتة، وهاهم اليوم يبثون حكايات فيها حياة، كانوا قبل ذلك يبدءون حكايتهم بقولهم: "كان في القديم..." أما الآن فهم يبدءونها بقولهم " ما سأقصه عليكم قد حدث في مكان ما، ولكن يمكن أن يحدث هنا، اليوم أو غدا.[1]

أن الاستعمار عمد عام 1955 على اعتقال جميع الرواة الذين يلتف حولهم الناس ليستمعوا إلى القصص، أن الرواة يجعلون الناس ينهضون من سباتهم، فكلما قص الراوي مرحلة جديدة كان يناديهم، ويكشف لهم عن نموذج إنسان جديد.[2]

إذن فالأدب له دور كبير وفعال لا يقاض الشعوب المستعمرة من سباتها ويبعث فيهم الروح الوطنية، يعني أن القارئ الفطن يستطيع أن يميز قبل مرحلة التحرير، وأن يحسس بظهور قوة جديدة.

فثمة موضوعات جديدة لم تطرح من قبل، وهي موضوعات حماسية توقظ الشعور القومي وتوجهه في سبيل هذه واحد وهي حركة التحرر.[3]

إن الثقافة القومية هي تعبير عن أمة، فهي ترتكز على الأمة والدولة، فالكفاح الذي تخوضه الدولة هو الذي يفتح للثقافة الأبواب، كما أن الأمة هي التي توفر للثقافة ظروف نمائها.

وتبقى هناك مسألة أخرى: ما هي العلاقة بين الكفاح وبين الثقافية؟. [4]

إن الكفاح المنظم الذي يقوم به الشعب لاسترداد الأمة، هو أكمل مظهر ثقافي، إن المعارك، الكفاح أثناء انطلاقها تخلق اتجاهات ثقافية جديدة، إن التحرر بالكفاح يزيل الاستعمار والمستعمرين الذين تهمهم ثقافة بلادهم، لا يتكلوا في تحقيق هذه الأمة على مجرد مبدأ الاستقلال دون نفاذ إلى وعي الشعب.

إن الوعي القومي هو أنضج أشكال الثقافية، إن الشعور القومي هو الأمر الوحيد الذي يهب لنا بعد عالمي.[5]

---

[1] فرانس فانون: معذبو الأرض، انظر ص 208.
[2] المصدر نفسه، انظر ص 209.
[3] المصدر نفسه، انظر ص 210.
[4] المصدر نفسه، انظر ص 213.
[5] المصدر نفسه، انظر ص 214.

ومشكلة الشعور القومي تأخذ في إفريقيا أبعد خاصة، فالشعور القومي في إفريقيا يتصل بالشعور الإفريقي، إن كل أمة مستقلة في إفريقيا ستظل تتربص بها الأخطار في كل لحظة إلى أن تحرر إفريقيا كلها من الاستعمار.

إن الشيء الملح بالنسبة إلى المثقف الإفريقي هو بناء أمته، إذا أعبر عن إرادة الشعب كان مصحوبا بقيم إنسانية، إن التحرر القومي هو الذي يجعل الأمة حاضرة. ففي قلب الوعي القومي إنما ينهض الوعي العالمي وليس هذا إلا بؤرة كل ثقافة.[1]

[1] فرانس فانون: معذبو الأرض، انظر ص 216.

الحرب الاستعمارية والاضطرابات النفسية:

عانى الشعب الجزائري منذ اندلاع الثورة التحريرية خراب ودمار أثر على سلوكه وانفعالاته أي على نفسيته بصفة عامة وكذلك تأثيرا بليغا على المستوى العقلي، إذ صدر الاستعمار الكثير لمستشفيات الأمراض العقلية من الزبائن.

لقد أصبحت حرب التحرير الوطني التي يخوضها الشعب الجزائري طوال سبع سنوات تربة صالحة لانطلاق الاضطرابات العقلية، وهناك حالات مرضية منه الجزائريين والفرنسيين تم علاجهم.[1]

إن الطب العقلي العيادي بوجه عام يصنف مختلف الاضطرابات في باب "أمراض الذهن الاستجابي" لأن المنطلق الأول للمرض يكمن في تلك الأعمال الدامية التي لا تعرف الروح الإنسانية ونذكر على سبيل المثال الحالة أ.

عجز جنسي عند جزائري على إثر اغتصاب زوجته.

رجل في السادسة والعشرين من عمره انخرط في النضال منذ السنة الثامنة عشرة من عمره في صفوف الأحزاب الوطنية كان يعمل في سيارة تاكسي ينقل الفدائيين، وفي ذات يوم اضطرته محاضرة شديدة، أن يترك سيارته التاكسي. وتبعثرت فرقة الفدائيين، أفلح في النجاة، ولجأ إلى بيت صديق له، قبل أن يستطيع العودة إلى بيته، صدر إليه الأمر أن يلتحق بأقرب مركز من مراكز المجاهدين، وظل عدة أشهر لا يتلقى أي نبأ عن زوجته وعن ابنته الصغيرة، وبعد سنتين من الإقامة في ذلك المركز من مراكز المجاهدين تلقى رسالة من امرأته تطلب إليه أن ينساها، لقد تلطخت بالعار. وعليه أن لا يفكر بعد اليوم في استئناف حياتهما المشتركة وبعد أسبوعين وصل إلى قائد الفرقة التي يعمل فيها بتقرير مفصل، ما أن وجدوا سيارته متروكة حتى ذهب عدد من الجنود الفرنسيين ومن الشرطة إلى بيته، فلم يجدوه اعتقلوا زوجته واحتفظوا بها أكثر من أسبوع.

وقد سألوها عن الأشخاص الذي يعاشرهم زوجها، وظلوا يضربونها طوال يومين، ولكن في اليوم الثالث أخرج أحد العسكريين الفرنسيين رفقة رفاقه الآخرين وتداولوا على اغتصابها، ثم أعادوها إلى بيتها، فلما قصت لأمها قصتها أقنعتها بأن تروي لزوجها كل شيء.

---

[1] فرانس فانون: معذبو الأرض، انظر ص 219.

ولذلك ما أن استطاعت أن تتصل بزوجها حتى أفاضت له بالعار الذي لطخها.[1]

وفي عام 1958، أصبح يعاني من أرق شديد وأدخل إلى المستشفى,وكان يتظاهر بأنه متفائل، وفي اليوم الثاني انهار التفاؤل الظاهري وأصبح لا يأكل و لا يبرح سريره، هو يتظاهر بعدم الاكتراث بكل ما يتصل بالكفاح الوطني.[2]

لقد قام خلال إقامته في الخارج بمغامرة جنسية أخفقت، فظن أن مرد هذا الإخفاق إلى التعب. وبعد فترات سوء التغذية التي مر بها، و ستأنف المحاولة بعد أسبوعين، فأخفق مرة ثانية، ثم أسر بأمره إلى رفيق له، فنصحه بتناول الفيتامينB12، فتجرع منه أقراصا. ثم حاول محاولة جديدة فأخفق إن هذا كله راجع إلى اندفاعات لاشعورية تحض على الخيانة الزوجية وقد أفصح خلال مكوثه بالمستشفى بأمور ذا أهمية كبيرة. لقد تزوج هذه الفتاة بينما كان يحب ابنة عمه، لكن أهلها زوجوها من شخص أخر، فقبل الفتاة التي اقترحها عليه أبوه، وكان يقول في نفسه مازلت شابا فل أصبر قليلا حتى إذا وجدت ما يناسب، طلقت وتزوجت زواج سعيد، لذلك كان قليل الارتباط بزوجته. وجاءته الحوادث وأبعدته عنها مزيد من الأبعاد، وغي نهاية الأمر كان يجئ إلى البيت لطعام والنوم دون أن يكلمها تقريبا.

ومند أن اغتصبوها الأنذال، قالت له "عليك أن تنساني، وأن تجدد حياتك، فقد تلطخت أنا بالعار".

ومند أن تلك اللحظة إنما عزمت في قرارات نفسي أن أسترد زوجتي بعد الحرب.

يجب أن أقول لك أنني يجب أن اعترف لك أنني لا أستطيع في أول الأمر أن أفهم موقفهم هذا، ولكننا صرنا شيئا بعد شيء نتدخل في الأمور ونحشرها للمدنيين. لقد قابلت متطوعين مدنيين من أجل تزويج فتاة اغتصبها عسكريون فرنسيون أصبحت حاملا. وذلك كله أعادني إلى التفكير في مشكلة امرأتي.

لقد عزم على أن يستردها، لكنه لا يعرف بعد كيف يكون لسلوكه حين يراها، وكيف ينظر إليها، وكيف ينظر إلى صورة ابنته الملطخ شرفها هي أيضا.

[1] فرانس فانون: معذبو الأرض، انظر ص 220.
[2] المصدر نفسه، انظر ص 223.

لو أنها عذبوها، لو أنهم كسروا ذراعها، هل هذا الأمر يستطيع المرء أن ينساه![1]

منذ ذلك اليوم أصبح يرض شيئا بعد شيء أن يسمع مناقشات سياسية وأصبح يقبل على الأكل.

وبعد أسبوعين التحق بوحدته واسترد زوجته بعد الاستقلال. إذن فالحرب الاستعمارية تركت لنا أمراضا سواء على المستوى العقلي أم النفسي وكذلك تشوهات بالمرضى إلى فقدان الثقة بالنفس بالإضافة إلى التفكير السلبي في مختلف الأمور كالإحساس بالخيانة وعدم الرضا....

ومن الأمراض المشاهدة كذلك:

أمراض في الإحساسات تتناول: أجزاء معينة من الجسم: 03 حالات هم مرضى يشعرون يتنصل في الجسم، بأن اليد تقلع بأن اللسان يبلغ وهي أمراض ناتجة عن التعذيب الذي يمارسه الاستعمار على الشعب الجزائري المضطهد.

وكذلك فقدان العاطفة: وهم مرضى ساكنون لا يتحركون ليس لهم هدف ليس فيهم دافع، يعيشون حياتهم يوما.

وهذا المرض إنما نتيجة فقدان الاهتمام والرعاية منذ الطفولة الخوف والارتباك، يعيشون حياة مضطربة عدم الاطمئنان.

ذرع فظيع من الكهرباء: خوف من مفتاح كهربائي خوف من إشعال جهاز الراديو.

نتيجة التعذيب بالكهرباء نجد الأشخاص المرضى يهابون من ملامسة أي جهاز يشتغل بالكهرباء.....

تجمد كلامي: يكرر المريض دون انقطاع جمل من النوع "لم أقل شيئا صدقوني"، "لم أتكلم"، ويصطحب هذا التكرار خوف دائم.

وفي هذه الحالة نجد المريض لا يقوى على الكلام، ولا يستطيع الدفاع عن نفسه، إلا بكلمات مكررة مصحوبة بالشعور بالخوف، خوف مرضي من كل انفراد مع شخص من الأشخاص، ويرجع الخوف إلى شعور المريض بأن من الممكن في كل لحظة أن يستجوب مرة أخرى.

ما نلاحظه في هذه الحالة وهي الخوف من الإنفراد لأن ما يتبادر في دهن المريض هو الاستجواب.

---

[1] فرانس فانون: معذبو الأرض، انظر ص 224.

الحالات المرضية المشاهدة:

كما نلاحظ حالات مرضية جسيمة: آلام في الجسم.

أ –**قرحات في المعدة:** تتفاقم الآلام في الليل مع تقيء شديد معظم هؤلاء المرضى (شباب من 12 إلى 25 عاما).

ترجع آلام المعدة إلى سوء التغذية، الجوع وكذلك الأكل الغير اللائق والنظيف، وكذلك نتيجة الخوف الشديد والارتباك.

ب –**أوجاع في الحالبين:** يمكن أن تظهر هذه الأوجاع لدى فتية صغار من 14–16 عام

وهذا المرض ناتج عن عدم الاطمئنان والارتياح، الخوف الدائم....

جـ– **اضطرابات الطمث لدى النساء:** تظل المرأة تارة ثلاثة أشهر أو أربعة بغير حيض، وتارة تعاني آلاما شديدة ترجع آثارها في المزاج السلوك المصاحب لهذا الحيض.

تأخر الحيض لدى النساء راجع إلى القلق والاضطراب فهي حالة نفسية قبل كل شيء.[1]

د– **حالات بياض الشعر في سن مبكرة:** لدى الذين يخرجون من مراكز الاستجواب سالمين، يشيب الشعر فجأة، يشيب خصل منه، أو مناطق أو يشيب كله...

نتيجة التفكير الكثير والقلق والاضطراب، وعدم الاستقرار نجد مرضى يشيب شعرهم مع أنهم شباب دون سن العجز.

هـ– **نوبات تسارع مفاجئ في خفقات القلب:** يزداد عدد خفقات القلب على حين فجأة: 120، 130، 140 في الدقيقة ويصاحب هذا التزايد خوف وشعور باقتراب الموت وتتميز نهاية النوبة بتعرق شديد.

---

[1] فرانس فانون: معذبو الأرض، انظر ص 259.

ازدياد ضربات القلب ترجع آثارها إلى الخوف الشديد وكذلك الشعور بالموت وهذه الحالة نجد أن مرضاها شاهدوا أما أعينهم حالات تعذيب والشنق والذبح...

ينبغي للمرء أن يقاتل في سبيل الحرية وأن يسير في دروب التاريخ، تاريخ الإنسان الذي حكم عليه بالعذاب ولا سبيل في ذلك إلا الدفاع بكل ما يملكه من قوة، وأن يقاتل في هذه الفترة المؤلمة لأن المعركة هي التي تعيد للإنسان اعتباره ومكانته تتحقق بالتكامل والانسجام الذي أراد بذلك العدو أن يفككه.

وإذا أراد شعب أن يتحرر فلا بد أن يرى بأن التضحية وحب الحياة، وكره الموت كل ذلك تكتسي به الجزائر الثائرة المقاتلة المدافعة على الإسلام والكره للمسيحية، الحفظ على الدين والعادات والتقاليد والقيم والشرف كل ذلك لن يكون إلا بالمعارك والعنف.[1]

ومن بين الخصائص التي زعم الاستعمار أن الشعب الجزائري ينصفها وهي ميله لإلى الإجرام، وحتى قلبوا بأن الجزائري مفطور على الجريمة كما ألقت الاستعمار كسالى بالفطرة كذابون بالفطرة لصوص بالفطرة، مجرمون بالفطرة.

ونريد هنا أن نعرض هذه النظرية الرسمية وأن نذكر أسسها المحسومة وأدلتها العلمية.

وسنحاول أن نفسرها تفسيرا جديدا.

الجزائري يقتل كثيرا:

يقول القضاة: أن من الأمور الواقعة أن أربعة أخماس القضايا المرفوعة إلى القضاة تتصل بطعنات وجروح، وأن نسبة الجريمة في الجزائر هي من أعلى النسب.

الجزائر يقتل بوحشية:

إن السلاح المفضل لدي الجزائري هو السكين، نجد العرب يؤثرون السكين، وسكان القبائل يؤثرون المسدس أو البندقية.

[1] فرانس فانون: معذبو الأرض، انظر ص 260.

بعض القضاة قالوا بأن الجزائري محتاج إلى الشعور بحرارة الدم حتى أن بعض القضاة قالوا بأن الإكثار من الطعنات دليل على أنه أراد أن يقتل العديد....

كما أن الجزائري نجده يقتل لأمر تافه: إذا أردنا أن نعرف بواعث القتل نجدها لأمر تافه، أما أن داية توغلتن في ثمن هكتار من الأرض أو من أجل السرقة.

جرائم السرقة في الجزائر نجدها عادة ما تكتمل بالعداوة على المماليك. [1]

إن الأطباء الجزائريين الحاصلين على شهاداتهم من كلية مدينة الجزائر قد تعلموا بأن الجزائري مجرم بالفطرة.

أهل شمال لإفريقيا مجرمون بالفطرة، أهل شمال إفريقيا يصبون التطرف ومعروفون بميلهم القوي إلى الإجرام، كما أنهم أناس عنيفون بالوراثة.

وفعلا إن الجزائري يميل إلى الغضب والعنف والقتل والاندفاع ولكن ذلك هو غيرته على شعبه ووطنه فالجزائر هي بلاد العزة والكرامة والغيرة على الوطن، فالشخصية الجزائرية طيبة حنونة في جوهراها.

فيما يتصل بالاستعدادات العقلية يلاحظ أن الجزائري ضعيف العقل، ونجد بأن المدرسة الجزائرية نذكر من خصائص السكان الأصليين المميزات التالية:

- ليس لهم انفعال.
- سريعو التصديق إلى أبعد حد.
- سهولة الإصابة بالحوادث.

إن كثرة إقدام الجزائري على ارتكاب الجريمة، وتفاهة البواعث الدافعة لذلك، كل ذلك قد طرح على الملاحظين مشكلة تحتاج إلى حل والتعليل الذي جاؤوا به وأصبح يلقى دروسا في الجامعة هو التعليل التالي في آخر الأمر:

لأن طبيعة البيانات الدماغية لدى أهالي شمال إفريقيا تفسير ما يتسمون به من كسل، ومن عجز عقلي واجتماعي، ومن اندفاعية الحيوان تفسير ذلك آن واحد: فالاندفاعية الإجرامية لدى أهل

---

[1] فرانس فانون: معذبو الأرض، انظر ص 273.

شمالي لإفريقيا إنما هي تعبير على مستوى السلوك، هي استجابة قائمة في طبيعة الأشياء في طبيعة الشيء البيولوجي.[1]

لئن أفضنا في الكلام على النظريات التي جاء بها رجال العلم الاستعماريون، فما ذلك إلا من أجل نعالج مشكلة نظرية وعلمية، والواقع أنه من بين المسائل التي طرحت نفسها على الثورة لم تكن مسألة انتشارها في الجزائر إلا قطاعا فرعيا.

ولكن الأحاديث التي دارت حول هذا الأمر بلغت من الخصوبة لأنها أتاحت لنا أن نتعمق فكرة التحرير الفردي والاجتماعي.

أنك حين ترى القادة يعالجون أمام المناضلين والمقاتلين مسألة انتشار الجريمة في الجزائر، وحين تراهم يذكرون العدد الوسطى للجرائم والسرقات التي وقعت في العهد السابق للثورة، وحين ترى فكرة الجزائري أراه إفريقي الشمالي المجرم بالفطرة يقول: "نعم نحن أناس سريعون إلى الغضب ميالون إلى المشاجرة، محبون للشر... هكذا نحن".

عندئذ تستطيع أن تقول: أجل إن الثورة في تقدم والمسألة النظرية الخطيرة الشأن هي علينا أن نجدد الأضاليل، أن نطرد الإهانة الموجهة إلى الإنسان، يجب أن لا ننتظر أن تنتج الأمة بشرا جددا، يجب أن لا ننتظر أن يتبدل البشر تبدلا تدريجيا في تجديد ثوري دائم.

إننا نشعر شعورا قويا بضرورة أن يصبح الحدث شاملا كليا، أن يصفي كل الحساب.

نعم لقد كان الجزائري يسلك من تلقاء نفسه سلوكا مصدقا لما يقوله القضاة، ورجال الشرطة، فكان علينا أن ننظر إلى هذه الإجرامية الجزائرية، كما علينا أن نبين مثلا أن جرائم الجزائريين في فرنسا تختلف اختلافا أساسيا عن جرائم الجزائريين الخاضعين للاستغلال الاستعماري خضوعا مباشرا.

وثم أمر آخر لفت انتباهنا في الجزائر: يتم جرم الجزائريين عمليا ضمن دائرة مغلقة، فيسرق الجزائريين بعضهم بعضا، ويمزق بعضهم بعضا، إن الجزائري قلما يهاجم في الجزائر الفرنسيين،

[1] فرانس فانون: معذبو الأرض، انظر 276.

وهو يتحاشى المشاجرات مع الفرنسيين، فالمهاجر يجعل الجريمة متبادلة بين مجتمعات بين طوائف اجتماعية.

إن الجزائري يميل إلى الشجار، سريع الغضب، وإذا ما أخذنا شخصية الجزائري من جانب إيجابي نجد أن ميله إلى العدوانية يساعد الثورة لأن تتقدم إلى الأمام، لأن الحرية لا تتحقق إلا في ظل المعارك والعنف، فنجد أن الجرائم كادت تختفي منذ عام 1954، لأن النضال الجزائري وجه الغضب كله إلى الانفعالية القومية فلم يعد الجزائري يقتل لأسباب تافهة ولا يتشاجر مع أخيه من أجل قطعة أرض، أو شجرة زيتون...

ومن هنا يمكن القول بأن الحرب هي التربة المناسبة للتعبير عن عدوانية أصبحت اجتماعية، توجه الميول الإجرامية نحو المحتل.[1]

ومن هنا يمكن أن نؤول انتشار الجريمة في الجزائر منذ حرب التحرير الوطني تأويلا جديدا.

إذا كل ما تملكه أسرة جزائرية من مؤونة يمكن أن تقدم في ليلة واحدة لجماعة المجاهدين الفارين، والحمار الوحيد الذي تملكه الأسرة يمكن أن يعار لنقل جريح.

إن اختلاس الثمر، والمساح لخروفك أن يأكل العشب جارك ليس إنكار الملكية الغير، أو خرقا لقانون، أو استخفافا بل هو محاولة قتل.

إن ما يسند إلى الجزائري من ميل إلى الجريمة ومن عنف في القتل ليس إذن ثمرة بنيان جملة العصبية، لقد ناقش المناضلون الجزائريون هذه المسألة ولم يهابوا أن يعيدوا النظر في الاعتقادات التي ألقاها الاستعمار في روحهم، وهذا كله أحدث في الوعي أثرا كبيرا يحتل من الخطورة منزله أساسية أن هدف المستعمر أن يقضى على السيطرة، ولكن عليه أيضا أن يحرص أشد الحرص على إزالة جميع الأكاذيب التي غرسها الاضطهاد في جسمه أن الأفكار التي كان يعلنها الاستعمار في ظل نظام استعماري كالنظام الذي كان قائما في الجزائر لم يؤثر في الأوربيين فحسب بل أثرت أيضا في الجزائري والتحرير الشامل، إنما هو التحرير الذي يشمل جميع القطاعات الشخصية انما يتلقاه اخوته من تعذيب وتقتيل أن ذلك كله يرسخ عزمه على الانتصار ليس الاستقلال كلمة تقال أنما هو الشرط الذي لابد منه لوجود أولئك الرجال والنساء المتحررين حقا.

---

[1] فرانس فانون: معذبو الأرض، انظر ص 277.

القيمة الأدبية للكاتب:

تم توزيع الكتاب في ربيع عام 1962 بأن "بأن" وفق إطلاق النار " بين الجزائر وفرنسا ضمن مجموعة " الدفتر الحرة" للناشر الباريسي ف. ماسبيرو مع مقدمة لجان بول سارتر.

نال هذا الكتاب نجاحا كبيرا مع أن فانون كان قد أملاه وهو يتجسس خفية من عدم قدرته على إتمامه، وأرسل إلى الناشر دون أن يكون لديه الوقت الكافي لمراجعته.

العنوان: " انهضوا يا معذبي الأرض، انهضوا يا مستعبدي الجوع..."[1]

منذ نهاية القرن التاسع عشر والثورين في البلدان المصنعة يرددون هذا النداء لمكافحة جحيم الأرض، وهو الاستغلال الذي تتعرض له الطبقة العاملة من قبل رأس المال.

استعار فانون التشبيه عن اختياره لهذا العنوان، لكنه استعاره لكي يعطي للجحيم الأرضي تعريفا أخر، فلم يقتصر على المصنع بل إنه موجود أيضا في البلدان المستعمرة و"الأرض" في هذا التمثيل ليست مجرد لحياة العمل فحسب، بل إنها تصبح أيضا وبشكل ملموس تلك الأرض التي لم تعد تسد رمق الفلاحين الذين يستغلهم المستعمرون(في الوطن الأم) وأتباعهم.

يستمد العنوان قوته من هذا الرنين المزدوج حيث ترنوا إلى مسامع القارئ لا شعوريا، وليس العمال وحدهم ينشدون بل انضم إليهم المستعمرون لتعلوا أصواتهم مع كافة "الجنسين البشري"، وأنه إذا اتخذ النشيد الثوري القديم فاتحة لكتابه، فذلك لكي يوقظ الخيالات حتى لا يشعر الآخرين بأن المكافحة في سبيل تحررها قد استلمت مشعل الكفاح من الطبقة العاملة لتواصل نضالها في النصف الثاني من القرن العشرين وذلك يعني اتخاذ موقف متميز في خضم النقاش الذي كان دائرا في الأوساط المثقفة اليسارية بين الذين يؤكدون بأن تحرير الجنوب لن يتم إلا عن طريق انتصارات الثورات في الشمال، وأولئك الذين لا يرون هزيمة الرأسمالية إلا من خلال كفاح الجماهير ضد الاستعمار.

---

[1] فرانس فانون: معذبو الأرض، انظر ص 15.

مدى نجاح الكتاب:

كان نجاح الكتاب في فرنسا موكبا لظهوره،ولكن النقاش الذي أثاره أبرز أراء متضاربة فقد رأى اليمين الاستعماري في فانون عدوا بطبيعة الحال، أما اليسار فقد أخذ عليه عدة مآخذ منها: "إنسانية" و"عفوية"، "فلاحية"، وافتقاره للشرح والبراهين الاقتصادية وإصراره على ابرز الجوانب الثقافية للكفاح في هذه الأوساط، حيث كان الشعور بالخطأ تجاه الثورة الجزائرية يتسع بقدر ما أدركت الثورة الانتصار فإن هذا الكتاب قد سبب الإزعاج لتلك الأوساط.[1]

أما مثقفو الشعوب المستعمرة وما نذر من المثقفين الغربيين المهتمين بأقوال المستعمرين فقد أصغوا إلى النداء، وسرعان ما أصدرت مجلة "حضور إفريقي: عددا خاصا تكريما لفانون، تضمن تعريفا بالرجل وكتابه في البلدان التي تصلها المجلة، وخاصة التي تستعمل اللغة الفرنسية في الجزائر المستقلة، تلقت الأوساط المناضلة هذه الرسالة مباشرة حيث كانت تعبر عن قيمهم وانشغالاتهم المقلقة، غير أن مشاكل تنظيم الدولة والاقتصاد ومشاريع التصنيع فيما بعد جعلته يبتعد بالتدريج عن ساحة الأحداث، وتحول فانون شيئا بعد شيء إلى رمز أعطى السمة للشارع ولثانوية ولمستشفاه القديم، ولا يقرأ له فعلا إلا القليل من الناس.

اتهم بعض مؤلفات فانون بــ " العفوية" وبــ " الفلاحية" فشاعوا نفس الاتهامات التي راجت في الخارج بينما راح البعض الآخر من الذين أثارت حساسياتهم بعض العروض المبسطة لحياته، يسعى إلى أن يبثث أن فانون لم يخلي إيديولوجية الثورة الجزائرية، وهو أمر لم ينسبه لنفسه بتاتا.

أما النجاح الجديد الذي عرفه مؤلف فانون فقد كان في الخارج، وفي الخارج أيضا برزت إلى الوجود أسطورة فانون مع ظهور الترجمات المتعددة له: الترجمة العربية (القاهرة 1962)، الترجمة الانجليزية (نيويورك1966)، والترجمات الألمانية والايطالية والاسبانية واليابانية...

لقد أثار كتاب " معذبو الأرض" في سائر أنحاء العالم اهتمام كل الذين يفكرون في تحويلات المجتمعات في النصف الثاني من القرن العشرين، وخاصة في علاقات الهيمنة الجديدة التي فرضتها الدول الاستعمارية القديمة والمراكز الاقتصادية على البلدان التي لم تمنعها تصفية الاستعمار من أن تبقى حاملة صفة" البلدان النامية"، " العالم الثالث".

---

[1] فرانس فانون: معذبو الأرض، انظر ص 17.

كما أن العديد من مناضلي الشعوب المكافحة من أجل استقلالها في إفريقيا وخارجها يعتبرون أرث فانون ملكا لهم.[1]

أما في الولايات المتحدة فإن السود في نضالهم ضد التمييز العنصري ومن أجل الاعتراف بحقوقهم وجدوا فانون أخالهم إذا كان مرجعا لجماعة "القوة السوداء" التي كان بعض زعمائها يعتبر كتاب" معذبو الأرض" مماثلا "للإنجيل".

إن فرانز فانون الذي يبعث من خلال هذا الفيض من القراءات المستوحاة من أوضاع تاريخية مختلفة ليس هو ذلك الإنسان ذو الأصل الأنتيلي المارتينيكي الذي اختار أن يكون جزائريا فحسب، بل هو يندد بالتواصل القائم بين استعمار الأمس وأشكال أخرى من الاضطهاد.

ومنذ وقت قريب اعترف الأنتيليون به واعتبروه ابنهم البكر، إذ حضر وفد أنتيلي مارتينيكي للوقوف وقفة إجلال على قبره في عين كرمة (ولاية الطارف) في عام1985.[2]

---

[1] فرانس فانون: معذبو الأرض، انظر ص 18.

[2] المصدر نفسه، انظر ص 20.

التعريف برواية الغريب:

تعتبر رواية الغريب أول رواية اشتهر بها آلبير كامو، وقد أثار ضجة كبيرة لدى مختلف الأوساط وقد صدرت هذه الرواية سنة 1942 وتدور أحدثها في مدينة الجزائر وضواحيها، وقد انتهى كامو من كتابة هذه الرواية سنة 1740 ونشرت سنة 1942، إلا أن فكرتها تكونت عند الكاتب قبل ذلك وهي أول أعماله وموضوعها هو شعور الإنسان الأوربي بالغربة في البلاد الجزائرية نظرا لظروف احتلا بلاده من طرف الألمان ولمعاناته وهو يتصادم بضغط من السكان الأصليين الذي نجم عن تصادم القيم والأفكار والعقائد، وطرح الفلسفة العشبية فالحياة كلها عبث في رأي الكاتب.[1]

تلخيص الرواية:

وتجري الأحداث مع "مارسو" بطل رواية الغريب وهو من عائلة فقيرة أبوه توفي منذ الصغر يسكن في شارع رئيسي في ضاحية المدينة، كان منذ ثلاث سنوات قد وضع أمه في الملجأ لعدم قدرته العناية بها، فلقد وضعها رغما عنه، فمارسو لا يعي ما يدور حوله في الجزائر، ولا يقاسم من يحيط به آلامه أو مشاعره، إنه شخص لا يبالي غريب عن مجتمعه لا يفهمه.

وتنقسم الرواية إلى قسمين:

الأول: تدور أحداثه في أماكن المدين وتدور أحداث القسم الثاني في دار الشرطة والسجن والمحكمة، وتبدأ الأحداث مع "مارسو" وهو شاب موظف في مكتب يستلم تليغرافا من مأوى العجزة في "مارانغو" الذي يبعد عن الجزائر بـــ 20 كيلومترا، يعلمه بوفاة والته ويذهب بالأتوبيس يقابل مدير المأوى ويرفض مشاهدة جثه أمه التي ستدفن غدا، يبيت تلك الليلة في المأوى حسب تلك المراسيم المتبعة يسهر على الفقيدة مع أصدقائها في المأوى وعددهم عشرة، وخاصة "توماس بيريز" المقرب إليها، البواب يقدم قهوة بالحليب لمارسو فيشربها، في الصباح يرفض أيضا مشاهدة والدته يرافق لموكب الجنائزي إلى الكنيسة التي تقع على بعد كيلومترين، يتم الدفن ويرجع إلى المدينة وهو فرح عندما دخل الأوتوبيس مدينة الجزائر، وتفكيره بأنه سوف يستلقي وينام لمدة(12 ساعة أثنى عشرة ساعة) وبذلك انقضى يوم الخميس والجمعة.

[1] الزاوي الأخضر: صورة مدينة الجزائر في الرواية الجزائرية عند آلبير كامو، ص 45.

وفي يوم السبت يذهب إلى الاستحمام في الميناء يلتقي بـــ: ماري كاردونا يعلمها أنه فقد أمه البارحة يوم الجمعة، وفي المساء يذهبان لمشاهدة فيلم مضحك "لفرنانديل" ويقضيان الليلة معا في شقته، في صباح الأحد تذهب"ماري" يقضي بعد الظهر في شرفته يستأنف الشغل يوم الاثنين، يتغذى مع صديقه "إيمانويل" في حانة "سيليست" في سلم العمارة يلتقي بجاره الشيخ "شالامانو" صاحب الكلب، ثم يلتقي بجاره الثاني "ريمون سانتاس" وعلى يده أثر جرح، كان قد تشاجر مع أخي عشيقته التي ضربها، يعيش معه ويكتب إليه رسالة هذه العشيقة التي ضربها، وهكذا ينقضي يوم الاثنين والأسبوع.

وفي يوم السبت يذهب مع ماري إلى الشاطئ، يعود معها في المساء تبيت معه في غرفته، وفي صباح يوم الأحد يسمعان شجار ريمون مع المرأة العربية عشيقته وهو يضربها: "واندفعت الفتاة إلى الباب وصرخت للشرطي أنريمون كان فد ضربها".[1]

ويطلب من مارس وان يشهد معه زورا عند الشرطة فيفعل هذا الأخير، ريمون يدعو مارسون وماري لقضاء يوم الأحد القادم في بيت ريفي قرب مدينة الجزائر، وقبل ذلك الموعد أي في هذا اليوم الأحد في المساء تطلب ماري من مارسو إذا كان يريد أن يتزوجها فيجيبها إن ذلك بالنسبة له سواء: " أنت ماري تزورني وسألتني إن كنت أريد أن أتزوجها فأجبتها إن ذلك سواء لدي، وإننا نستطيع أن نتزوج إذا كانت تريد ذلك".[2]

ومساء السبت قبل يوم الأحد الموعد تبيت ماري عند مارسو، وفي صباح الأحد الموعود تخرج مع مارسو وريمون إلى الموعد، وفي الشارع يكتشفون جماعة من العرب ينظرون إليهم ومعهم خصم ريمون شقيق عشيقته، يأخذون الأتوبيس حتى البيت الريفي عند " ماسون" وزوجته الباريسية، يسبح ماسون مع ماري وبانتهاء الغذاء تبقى المرأتان معا، ويتجول مارسو وريمون ماسون على الشاطئ وعند النبع يكتشفون الآن العربيين قد لحقاهم، واحد منهم يخرج سكينا يتعارك مع ريمون يجرحه، ينتقل يعالج ويعود من جديد مع مارسو وماسون إلى النبع يريد أن يطلق النار على خصمه ينتهزه مارسو ويأخذ منه المسدس، يرجعون إلى البيت وبعد فترة يعود مارسو وحده، يجد العربي مازال ممددا عند النبع، يقترب منه فلا يتحرك يخرج سكينه يقع بريقه على ميني مارسو تشتد حرارة

---

[1] آلبير كامو: الغريب، دار الآداب، بيروت، لبنان، 1983، ط 03،ص36.
[2] المصدر نفسه، ص 41.

الشمس في هذه الظهيرة، يشعر بدوران يضغط على زناد المسدس فيقتل العربي، ثم يطلق عليه أربع رصاصات لتأكد من تنفيذ المهمة.

أما القسم الثاني فيسجن مارسو، يدوم التحقيق معه تسعة أيام ويبقى في السجن إحدى عشر شهرا، تزوره ماري مرة واحدة ثم تمنع عن ذلك لأنه ليس زوجها.

يحضر مارسو المحاكمة التي دامت يومين بحضور الشهود والأصدقاء بما فيهم ماري، كأنه غريب فهم يتكلمون بشأنه دون أن يأخذوا رأيه، وهو صامت لا مبال، ويدافع عنه المحامي بقصارى جهده لكنه لا يستطيع أن يفعل أكثر، ويحكم على مارسو بقطع رأسه في مكان عام باسم الشعب النفسي:"الرئيس قال أن رأسي سيقطع في ساحة عامة باسم الشعب الفرنسي"[1].

يؤخذ مارسو بعد ذلك إلى السجن، يرفض استقبال الكاهن ويعلن عن فكرة بجميع الأديان كما سبق أن أعلن ذلك من بداية عند قاضي التحقيق: "يسألني إن كنت أومن بالله فأجبته أنا لا"[2].

وهكذا يمضي زمن غير محدد بعد المحاكمة وهل يذكر أعدم وكيف أعدم وتنتهي الرواية.

---

[1] ألبير كامو: الغريب، ص 93.
[2] المصدر نفسه، ص 96.

دراسة المكان: تأطر هذه الرواية في نقاط عديدة من المدينة أهمها ما يلي:

"**مدينة الجزائر**" التي كان يسكنها مارسو البطل تأتيه برقية تعلمه بوفاة والدته فينتقل إلى "مارانغو" على بعد 20 كلم، ومنه ينتقل على الموكب الجنائزي إلى " القرية" على بعد كيلومترين حيث توجد الكنيسة وهناك "المكتب" الذي كان يشتغل فيه "كان المكتب يطل على البحر" [1] ومطعم "سيليست" حيث يقول "وأكلت في مطعم سيليست كالعادة" [2]، وهناك " الشاطئ" الذي يلتقي فيه بماري "ولقيت في الماء ماري كاردونا..." كانت تضرب على الآلة الكاتبة في مكتبي" [3]، وهناك الحمام" على الشاطئ "وشقة" مارسو في المدينة، والبحر "ودور سينما المركز"،و"ساحة شان دوما" نوفر، بشار"ليون" الذي يتجول فيه صاحب الكلب، وشوارع المدينة الأخرى و"محطة الأتوبيس" ثم محافظة " الشرطة و"السجن" والزنزانة" و"المحكمة".

مكان الأحداث في هذه الرواية مطابق للحقيقة بالنسبة لواقع المدينة التوبوغرافي، فالضاحية التي كان يسكنها مارسو البطل كان يسكنها الكاتب نفسه وهي "بلكولر" التي عاش فيها مع أمه شارع "ليون" المسمى بلوزداد أو ساحة شان دوما نوفر.

حيث كان كامو يلعب فيها الكرة وهو صغير، وكل التفاصيل المتعلقة بمدينة الجزائر في الرواية فهي مطابقة للحقيقة.

فالسجن يقع في مكان مرتفع، والميدان قريب من قصر العدالة، والملعب في طريق المدينة في آخر شارع ليون، حيث تأتي عربات المترو محملة باللاعبين والمشاهدين وكذلك ملجأ العجزة في مارانغو.

أما المكان الخيالي فهو قليل في الرواية مثل قصة رجل غادر قرية تشيكية سعيا وراء الثورة وبعد خمس وعشرين سنة يعود إليها غنيا وينزل في أحد فنادقها، فتقتله أمه وأخته وتأخذان النقود وفي الصباح جاءت زوجته به فانتحرتا.

---

[1] آلبير كامو: الغريب، ص 26.
[2] المصدر نفسه، ص 09.
[3] المصدر نفسه، ص 21.

دراسة الزمان:

تدور أحداث الرواية ضمن غلاف زمني يكاد محددا بوضوح تام لو لا النهاية الزمانية المفتوحة في الآخر، والتي ربما قصد إليها الكاتب وهي متعلقة بمدة تنفيذ الحكم الذي صدر في حق مارسو بطل الرواية، وبالنسبة للقسم الأول من الرواية تغطى الأحداث في ثمانية عشر يوما كاملة، وفي القسم الثاني هناك أحد عشر شهرا وأثنى عشر يوما خلاف أيام انتصار تنفيذ الحكم وهي الخريطة الزمنية للوراية وتبقى مسألة تحديد موقع هذا الزمن ضمن الزمن السنوي، وهي واضحة ففي بداية الرواية إشارة إلى الموسم الكروي أي لعبة كرة القدم الذي لا يتعدى أبدا 30 جوان من كل سنة في الجزائر، وعليه فمن غير شك أن جريمة القتل تمت في شهر السابع من السنة أي شهر جويلية، بدليل ذكر مارسو بعد قضائه مدة السجن، أن صيفا قد حل سريعا محل صيف، كانت قضيتي مسجلة في شهر جوان: "أستطيع أن أقول أن صيفا قد حل سريعا محل صيفا، كانت قضيتي مسجلة في الدورة الأخيرة بمحكمة الجنايات وستنتهي هذه الدورة في شهر جوان".[1]

بالرغم من أن الرواية تمتد على ظروف سنة كاملة وأيام إلا أن أحداثها الفعلية تدور في الصيف فقط، أي في جوان وجويلية، كما يتخذ سير الزمن في الرواية خط مستقيما، فكل حلقة تسلم لأختها وينمو الزمن بدون تراجع إلى الوراء عموما.

أما الزمن التاريخي فهو قليل للغاية، وابرز امتداداته كمايلي:

إيمانويل فقد عمله منذ عدة شهور وهو أقصر امتداد تراجعي، قال مدير الملجأ:" إن السيدة مارسو دخلت هنا منذ ثلاث سنوات، كنت أنت سندها الوحيد"[2] وهو امتداد أكبر وقال مارسو: " الشيخ سالا مانو جاري وكان يصحبه كلبه منذ ثماني سنوات يراهما الناس معا" [3] وهو امتداد أطول، وهاهو أكبر امتداد رجعي في الرواية وهو ذكر مارسو لقضية المفصلة وثورة 1789.

---

[1] آلبير كامو: الغريب، ص 74.
[2] المصدر نفسه، ص 10.
[3] الصدر نفسه، ص 27.

دراسة شخصيات الرواية:

1 - **البطل ميرسو**: وهو بطل الرواية وهو شخص غير مبال لا يعي بما يدور حوله في الجزائر ولا يقاسم من يحيطه آلامه أو مشاعره إنه شخص لا يبالي غريب عن مجتمع لا يفهمه.

وهو منذ بداية القصة حتى نهايتها لا يعرف لماذا يكرهه الناس ولماذا يحاكم، انه خائف دائما ومتخوف، يؤمن بالله ويعلم ويحب ويتزوج من غير أن يشعر أو يحس بأدنى اهتمام بذلك ولنتأمل ذلك البطل الغريب في موقفه في هذه الرواية، عندما ماتت أمه حيث نلاحظ انفعالات غير حقيقية بل غير واقعية وهو لا يذكر سوى كلمات وحركات لا معنى لها بالنسبة للناس الذين حضروا مراسم الدفن، ثم يشعر فجأة بالحر الخانق والتعب، ولا يلفظ ولا كلمة واحدة عن علاقته بمن ماتت.

يتكرر نفس الموقف اللامبالي مع ماري وحبيبته عندما طلبت من الزواج فهي تسأله أيحبها هو؟ فيجيبها: لا أدري ربما....لا، أتزوج؟، كما تريدين، رغم ذلك لا يهمني، وعندما يجابه شقيق الفتاة عشيقته صديقه وهو لا يعي تماما أنه إنما أقدم على جريمة قتل.

2 - **مدير مأوى العجزة:** وهو من يعلم مارسو بوفاة أمه، شخصية عادية دورها بسيط وثانوي.

3 - **ماري كاردونا:** وهي حبيبة مارسو، وهي كاتبة سابقة معه في المكتب.

4 - **ريمون سانتاس:** صديق ميرسو، لديه عشيقة وهو يضربها، فهو عنيف، يجعل مارسو يشهد معه زورا.

5 - **صديقة ريمون:** وهي عربية.

نرى ان أبطال لا يعرفون شيأ، ولا يتعرفون على شيء ولا يتألمون عن شيء ولا يهمهم شيء على الإطلاق، فأبطاله أساس فائدة منهم.

دراسة الصورة:

مارسو وصديقه ريمون: يرمزان إلى الفرنسيين في الجزائر وشعورهم بالرغبة في هذا المجتمع.

وعشيقة ريمون: المرأة العربية المخدوعة هنا هي الجزائر وليس من حقه شعبها أن يطالب بشيء لا يحق أن يطالب به ولا يدافع عن نفسه وإلا كان نصيبه القتل، كما حدث لشقيق الفتاة في القصة.

ويكاد يكون كامو هو البطل نفسه "مارسو" في رواية الغريب ونلحظ ذلك من خلا نقاط تشابه كثيرة بينهما، فمارسو ليس لديه لقب مما يقربه من كامو باعتباره اسما حركيا أو كنية، وقد سكن مارسو نفس الحي الذي سكنه كامو في المدينة الجزائر، وكلاهما عاشا مع والدته إلا أن والدة كامو توفيت بعد ابنها، وكلاهما انقطع عن إكمال دراسته، فكأن الكاتب يعكس جوانب كثيرة من وضعيته التي عاشها من خلا الرواية.

قيمة الرواية:

هي من أقوى الأعمال التي أنتجها آلبير كامو حيث اشتهر بها، فهي تعطي صورة عن مدينة الجزائر في نظر المعمرين آنذاك.

الخاتمة

الخاتمة:

تناولنا في بحثنا هذا صورة الجزائر عند كل من فرانس فانون وآلبير كامو، واتخذنا من روايتي" معذبو الأرض" لفانون و"الغريب" آلبير كامو نموذجا.

فقمنا بتحرير صورة الجزائر في رواياتهم، وقد توصلنا من خلال تحليلنا إلى أن موقف كامو من الثورة كان سلبيا رافضا تماما الاعتراف بتاريخ وشرعية وأصالة الشعب الجزائري، فقد كان يعتبر بالثقافة والحضارة الفرنسية في الجزائر، وكان اهتمامه وإعجابه منصبا على المناظر الطبيعية الخلابة الجميلة حيث يمكننا القول بأن هم كامو كله إنما يقتصر على عدم إيذاء الجالية الأوربية فحسب، وهذا لا يعني أنه معاديا للجزائريين ضد المستعمر فقد أراد أن تكون الجزائر أرض فرنسية.

على عكس فانون الذي أيد القضية الجزائرية وعارض الاستعمار الفرنسي وأراد أن يكون للجزائريين الحق في التمتع بالحرية، فقد التزام بالدفاع عن الشرعية التاريخية للشعب الجزائري فكرا وروحا وعملا، فموقفه كان لصالح الثورة الجزائرية، لا بالعاطفة والتدعيم المعنوي أو بالكتابة فقط، بل بالعمل الميداني الذي كان ضد وطنه الأصلي.

فهرس الموضوع:

الفصل الأول:

الفصل الثاني: دراسة رواية "معذبو الأرض" لفرانس فانون.

قائمة المصادر:

- كامو آلبير: الغريب، درا الآداب، بيروت لبنان،1983.
- فانون فرانس: معذبوا الأرض، دون ط، موفم للنشر، الرغاية، الجزائر،1990.
- فانون فرانس: العام الخامس للثورة الجزائرية، دون ط، المؤسسة الوطنية للنشر والإشهار، الجزائر، 2008.

قائمة المراجع:

- الإبراهيمي أحمد طالب، من تصفية الإستعمار إلى الثورة الثقافية.

ترجمة: حنيفي بن عيسى، الشرك الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،1972.

- أسعد سامية أحمد، في الأدب الفرنسي المعاصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1976.
- بري جرمين: آلبير كامو ترجمة جيرا إبراهيم جيرا–المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت،1981.
- حماميد حسينة "المستوطنون الأروبيون والثورة الجزائرية، الطبعة الأولى، بني مسوس، الجزائر، متيجة للطباعة،2007.
- حمانة البخاري، فلسفة الثورة الجزائرية، الطبعة الأولى، وهران، دار المغرب للنشر والتوزيع، 2005.
- حيفري عبد المجيد، فرانس فانون، بعض ملامح الشخصية الجزائريةفي كتاباته، دون طبعة، الجزائر العاصمة، دار الثقافة، 2008.
- الصيلي محمد: فرانس فانون والثورة الجزائرية، الطبعة الأولى، وهران، دار المغرب للنشر والتوزيع، 2005.
- الزاوي لخضر: صورة مدينة الجزائر في الرّواية الجزائرية عند آلبير كامو، منشورات جامعة باتنة، 1998.
- الزبيري العربي، المثقفون الجزائريون والثورة، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، رويبة، الجزائر، 1955.
- سارتر جون بول: تغطية فاطمة بلجرد، ترجمة محمد معراجي، مراجعة، أحمد معراجي، مواقف مناهضة للإستعمار، دون طبعة، رويبة، الجزائر.

- سليمان عشواتي: الشخصية الجزائرية الأرضية التاريخية والمحددات الحضارية، دون طبعة، بن عكنون، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية،2007.
- العربي إسماعيل: نماذج من روائع الأدب العالمي.
- علي سعد: حول الكاموية، مجلة الآداب، بيروت.
- عمراني عبد المجيد: النخبة المثقفة والثورة الجزائرية، دون طبعة، باتنة، دار الشهاب.
- فانون فرانس: العام الخامس للثورة الجزائرية، دون طبعة، الجزائر، المؤسسة الوطنية للإتصال النشر والإشهار، 2008.
- يحياتن محمد: مفهوم التمرد عند آلبير كامو وموقفه من الثورة الجزائرية، ديوان المطبوعات الجامعية بالجزائر، 1984.
- دور المرأة في الثورة الجزائرية، طبعة خاصة بوزارة المجاهدين، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954.

المجلات:

حفناوي يعلي: ثقافة، مجلة ثقافية شهرية، الأردن، العدد 115، كانون الثاني، 2005.